جامعة يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

المذهب الأشعري في عهد الموحدين بالأندلس 540-668هـ/1141-1269م

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في التاريخ الوسيط

إعداد:
- محمد سبع

إشراف الأستاذ:
حمزة عبد الصمد

السنة الجامعية:1436-1437هـ /2015-2016م

شكر وعرفان

يقول جل وعلا بعد بسم الله الرحمان الرحيم: "لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ" .

سورة إبراهيم

الحمد لله رب العالمين أولا و أخيرا وحده القادر و المقتدر , أنعم علينا نعمة التفكير و البصيرة , الذي أكسبنا الإرادة لإتمام عملنا هذا.

نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا و كان لنا عونا و سندا في إنجاز عملنا المتواضع

و إلى كل من علمنا حرفا و أنار لنا الدرب لإنجاز هذه المذكرة.

فجزيل الشكر و فائق الاحترام إلى الأستاذ المشرف " حمزة عبد الصمد" الذي قبل الإشراف على هذا العمل و لم يبخل علينا بنصائحه و إرشاداته القيمة.

كما نوجه فائق التقدير إلى كل أساتذة جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية على وجه العموم .

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من ربّياني و علّماني ودفعاني إلى طلب العلم والدفاع عن الفضيلة، أبي رحمه الله وجعل مثواه الجنة، وأمي أطال الله عمرها وأمدّها بالصحة والعافية.

كما أتقدم بإهداء هذا البحث إلى أستاذي المشرف حمزة عبد الصمد الذي مد لي يد المساعدة فجزاه الله خيرا، والإهداء موصول إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في تقديم يد العون في تحرير هذا العمل.

مقدمة

مقدمة:

إن الباحث في علم الكلام يشد انتباهه منذ البداية ملاحظة واضحة تتجلى في استئثار الجانب المشرقي من العالم الاسلامي بالقسط الأوفر من الدراسات والبحوث والمؤلفات التي تتعلق بهذا العلم ،سواء بسبب أنه كان المجال المكاني الأول الذي ظهرت فيه الفرق الكلامية الإسلامية ،أو من حيث أنّ العلماء والمفكرين ورجالات الكلام والفلسفة برزوا من بين رجالاته وعلى أرضه خصوصا، أو من حيث إنه شهد تنوعا في الأجناس والحضارات والأعراف والعقليات انعكس على الحياة الفكرية و الدينية بعد الفتوحات الإسلامية الكبرى ،فأثمر علوما جديدة وفلسفات متنوعة وطوّر لنا ما يعرف بعلم الكلام أو علم العقائد أو الفلسفة الإسلامية .

وقد ساد اعتقاد عند كثير من الباحثين مضمونه أنّ بلاد المغرب والأندلس لم تشهد امتدادا حقيقيا للاتجاهات الكلامية ،ولم تعرف أي إبداع في علم العقائد ،وأنّ الشذرات والومضات الخاطفة التي وردت في مصادر التراث الإسلامي التاريخية والعقدية التي تتحدث عن بعض رجال الفكر الكلامي بالمغرب والأندلس وعن أراء المدارس الكلامية ،لم تكن في نظرهم إلا رجع صدى للآراء والمواقف الكلامية المشرقية ،بحيث أنها لم تحمل في أعماقها أية قيمة علمية.

والواقع أن اصدار مثل هذه الأحكام تجعل من الباحث يقلب صفحات التاريخ متمعنا دارسا ،ويرجع إلى المصادر الموجودة في الخزانة الأندلسية لاستجلاء الأمر والتثبت من مدى صدق هذه الأحكام المتعلقة بعلم الكلام .

لذا تتجلى **أهمية هذا البحث** في إبراز أعلام المذهب الأشعري وتعريفهم إلى أبناء عصرنا ،وكيف كانت حركتهم العلمية من جهة البحث في قاعدة الموحدين –المرشدة–وكيف امتدت يد دولة الموحدين في نشر العقيدة الأشعرية في أرض الأندلس ،على الرغم من أنّ المجتمع الأندلسي كان وعلى مدى قرون مالكي المذهب في الفروع ،وعلى عقيدة السلف وأهل الحديث في الأصول.

يتبين مما تقدم أنّ هناك حوافز مهمة دفعتني الى **اختيار موضوع** الأشعرية بالأندلس كمجال وفضاء للبحث العلمي ،بالإضافة إلى ذلك فإن هناك اعتبارات أخرى خاصة جعلتني أقيّد مجال بحثي و أحصره في المذهب الأشعري بالأندلس ثم أزيده تقييدا عندما ربطته بدولة الموحدين.

من أجل هذا وعملا على إعطاء المصداقية للمنهج العلمي ،سأعمل في هذا البحث على **انتهاج منهج تاريخي** وصفي، وهذا يعني أنني سأتجنّب القراءات التحليلية أو التأويلية، ولأنّني أيضا أعطيت الأسبقية للنصوص المدروسة والوثائق الواصفة قدر الإمكان .

وتمثّلت إشكالية بحثنا في السؤال التالي :كيف استطاع المذهب الأشعري أن يجد ضالته في منطقة الغرب الاسلامي خاصة بالأندلس، على الرغم من أنّ المجتمع الأندلسي كان وعلى مدى قرون يعتقد معتقد أهل الحديث ؟وماهي العوامل التي ساعدت في ترسيخ وتوسيع هذا المذهب بالغرب الاسلامي؟

أما عن أقسام البحث فإنه يتألف من **ثلاثة مباحث** :

فعنونت **المبحث الأول** ب: الأندلس في نهاية عصر المرابطين وبداية عهد الموحدين ،وقسمته إلى ثلاثة مطالب ،خصصت **المطلب الأول** للحديث عن الوضع السياسي للأندلس في أواخر عهد المرابطين ،و**المطلب الثاني** تطرقت فيه الى الحياة الدينية قبل نهاية عصر المرابطين ،أما **المطلب الأخير** فتعلق بسقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين.

في **المبحث الثاني** عمدت إلى إعطاء لمحة عن المذهب الأشعري، وجعلته في ثلاثة مطالب.

أما **المطلب الأول** فخصصته للحديث عن نسب الأشعري، ومولده، ونشأته، **والمطلب الثاني** تعرضت فيه إلى التعريف بالمذهب ونشأته وأسباب انتشاره ،وأما **المطلب الثالث** فتكلمت عن أهم مبادئ الأشاعرة وأهم منظّريها.

وفي **المبحث الأخير** فكان الحديث منصبا عن العقيدة الأشعرية بالأندلس في عصر الموحدين ،وقسمته الى ثلاثة مطالب.

المطلب الأول كان يتمحور حول الوجود الأشعري قبل فترة الموحدين بالغرب الإسلامي ،**والمطلب الثاني** تطرقت فيه إلى دور كتاب المرشدة في ترسيخ المذهب الأشعري ،وأما **المطلب الأخير** فكان بعنوان أعلام الأشاعرة خلال فترة الموحدين بالأندلس.

ولقد **اعترضتني** في القيام بهذا البحث جملة من **الصعوبات** يرجع بعضها إلى طبيعة المصادر ،ويرجع البعض الآخر إلى الموضوع في حد ذاته، فالجانب الأول تكمن صعوبته في انتقاء المادة العلمية من المصادر الأم ،وأما الجانب الثاني والمتعلق بالموضوع ذاته فتكمن صعوبته في قلة المعلومات المتعلقة بتطور الفكر الأشعري في عهد الموحدين بالأندلس .

خلصت في نهاية بحثي الى نتائج أحسب أنها مفيدة للبحث العلمي، لكنها تظل في حاجة إلى تحليل وتطوير من طرف المهتمين والمختصين.

المبحث الأول

الأندلس في نهاية عصر المرابطين وبداية عهد الموحدين

المبحث الأول: الأندلس في نهاية عصر المرابطين وبداية عهد الموحدين

المطلب الأول: الوضع السياسي للأندلس في أواخر عهد المرابطين

قبل التّعريج إلى الوضع السياسي الذي آلت إليه دولة المرابطين وانهيارها تحت وطأة الموحدين، ارتأينا أن نذكر في أسطر معدودات أهم المراحل التاريخية التي مرت خلالها الأندلس في ظل دولة المرابطين :

كان الحال قبل عهد المرابطين يرثى له ، خاصة عصر ملوك الطوائف في الأندلس والذي كان عصرا زاخرا مملوءا باللهو والتّرف، ومثالا للتمزق السياسي، وضعف التمسك بمبادئ الإسلام الحنيف، و بالرغم من هذه الصورة القاتمة كان هناك بصيص من نور يخرج من بين الفينة والفينة ينير للناس الدّرب ،ويحضّهم على رفض واقعهم المرير، فكثيرا ما رفض الأندلسيون الانصياع لحكامهم الذين ارتضوا لأنفسهم الذّلة والمهانة بارتمائهم في أحضان ملوك النصارى[1]،من ذلك رفضهم دفع الأموال أو الضرائب لحكامهم الموالين للنّصارى، كرفضهم دفعها إلى القادر بن ذي النّون[2] عميل النّصارى ليقدمها إلى حليفه ألفونسو السادس[3] عام (468 هـ/ 1078م)، وأمّا في جهة المغرب

---

[1] أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن خلكان (ت 681هـ/1282م) :وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح ، د إحسان عباس ،ج5 ،ط2،دار صادر، بيروت 1977،ص27.

[2] القادري بن ذي النون أحد ملوك الطوائف في الأندلس وأحد عملاء النصارى، كان واليا على بلنسية في ذلك الوقت، توفي مقتولا على يد القاضي ابن جحاف في بلنسية سنة 485 هـ، أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى المراكشي (ت نحو 695هـ/نحو1296م):البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين ،تح ابراهيم الكتاني وغيره،ج4،ط1،دار الغرب الاسلامي،بيروت1406/1985،ص149.

[3] هو الأدفونش بن غرسية بن شانجة بركه ملك قشتالة وصاحب طليطلة المشهور الملقب بالفونسو السادس، الذي انهزم على يد يوسف بن تاشفين أمير لمسلمين في موقعه الزلاقة الشهيرة سنة 479 هـ، هلك ألفونسو هذا سنة 502 هـ، وقيل سنة 528 هـ، ابن عذارى المراكشي : نفسه :ص50.

فكانت الحالة تعجّ بالفرقة والعصبية القبلية والنّزاع وظهور الخرافات والشعوذة والابتعاد عن مبادئ الإسلام الحقيقية خاصة قبائل صنهاجة في المغرب، وسائر بلاد المغرب العربي[1].

وفي ظل هذه الظروف القاسية والمتتابعة في الانحطاط والتأخر ظهر ثلاثة زعماء مشهورين في التاريخ الإسلامي وهم عبد الله بن ياسين[2]، وأبو بكر بن عمر[3]، ويوسف بن تشافين[4]. فقد كان عبد الله بن ياسين الجزولي البذرة الأولى في تأسيس دولة المرابطين العظمى، الذي أخذ على عاتقه دعوة الناس إلى الرجوع إلى مبادئ الإسلام السامية، وترك البدع والخرافات، خاصة في منطقة الصحراء الغربية من جهة الجنوب الغربي، وعلى الرغم من كل الصعوبات التي اعترضنه استطاع خلال فترة وجيزة أن يحشد الحشود، فجمع حوله حوالي ألف رجل من أشراف رجال صنهاجة، ومن أهمهم يحي بن عمر الذي سار معه في طريق الدعوة والجهاد إلى أن توفي في سنة447هـ[5]،فقد كانت مسيرته تتمثل في تربيتهم على تعاليم الإسلام ولزومهم رباطه وإخلاصه له فمن ذلك سموا المرابطين، وواصل في ذلك جهاده الى ان توفي سنة451هـ[6] وأخذ بعده الشعلة أبو بكر بن عمر اللمتوني فسار مسيرته في النضال والجهاد، وجمع الكلمة وكان شجاعا محبا للجهاد حاملا للدين والوطن وزاهدا في الدنيا

---

[1] ابن عذارى المراكشي :المصدر السابق ،ص229 .

[2] عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير بن علي الجزولي (ت451 هـ / 1059)،الزعيم الأول للمرابطين ،وكان من حُذَّاق الطلبة الأذكياء النبهاء النبلاء، من أهل الدين والفضل، والتقى والورع والفقه، والأدب والسياسة، مشاركًا في العلوم، ابن ابي زرع(ت726هـ/1326): الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس ،طبعة المعلم الحاج أحمد بن المعلم الحاج الطبيب الأزرق ،المغرب ،كتاب مصور ص123.

[3] أبو بكر بن عمر اللّمتوني : من رؤساء الدولة المرابطية ،استولى على سجلماسة ،وملك السوس بأسره ،ثم امتلك بلاد المصامدة وفتح بلاد أغمات وتادلة وتامسنا سنة 449هـ...توفي سنة 480هـ/1087م،خير الدين الزركلي :الأعلام ،قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،ج2،ط15،دار العلم للملايين ،لبنان 2002،ص68.

[4] يوسف بن تشافين: وهو أحد قواد المرابطين الذي أصبح القائد الأوحد عليهم خاصة بعد وفاة ابن عمه الأمير أبى بكر بن عمر سنة 480 هـ، ويعتبر المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين لأنه هو الذي وطد أركانه هذه الدولة وأعطاها كياناً دولياً ثابتاً. (في تاريخ المغرب والأندلس. احمد مختار العبادي. ص305.

[5] أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي بن خلدون (ت808هـ/1406م):ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح خليل شحادة،ج6،ط1،دار الفكر،بيروت،1432هـ/2010م ص186.

[6] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي(ت1897م):الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ،تحقيق أحمد الناصري،ج2،دط،منشورات وزارة الثقافة والاتصال ،الدار البيضاء،2001،ص172.

وما عند الناس، كان مستمرا على ذلك إلى أن استشهد ، و مما يدل على عدم طمعه في المنصب ولا في دنيا هو تنازله عن الحكم لابن عمه يوسف بن تشافين رغم أحقيته بذلك إلا ان ما رآه في سيرة ابن عمه من الشجاعة والفضل والتفاف الناس حوله ترك له الحكم فعاد بالملثمين إلى الصحراء حتى استشهد هناك عام 468هـ.[1]

وبعد هذين الرّجلين العظيمين جاء يوسف بن تشافين القائد الأعلى وأمير المسلمين في المغرب والأندلس ،مواصلا سيرة من تقدمه بالفضل ،واضعا أسس الدولة المرابطية بجميع مقوماتها التي أسسها رسميا عام464هـ،فبايعه النّاس على الإمارة[2]

قال أحد الباحثين: " يعتبر يوسف بن تشافين من أعاظم الرجال الذين أنجبتهم المغرب الإسلامي، وكان لهم أبعد الأثر في توجيه تاريخه، وقد قام يوسف بدور رئيسي في تاريخ المغرب نفسه ثم في تعريب المغرب الجنوبي والشرقي ،وتعميق جذور الإسلام فيه ثم في تاريخ الأندلس، حيث أتيحت ليوسف الفرصة لإنقاذ الإسلام الأندلسي الذي تهدّده الخطر الداهم خلال النّصف الثّاني من القرن الخامس الهجري – الحادي عشر الميلادي. ويمتاز يوسف بن تشافين بالخصائص الأساسية التي تميز بها كثير من بناة الدولة الإسلامية ،ورجالها الذين تولّوا أمرها في أوقات الأزمات العصبية التي ألّمت بها على طول تاريخها، وأولى هذه الخصائص الإيمان العميق بالإسلام، ثّم النظرة الواسعة إلى العالم الإسلامي على أنه عالم واحد متماسك، إذا يمتد الخطر جانبا لم يلبث الخطر أن يمتد إلى بقية الأجزاء ويتهدّدها، ثمّ الإيمان بالعروبة وثقافتها على أنّه عصب الكيان الإسلامي العام، ثم العدالة وهي أجمل ما تحلى به عظماء حكّام المسلمين، وأخيرا النشاط الواسع والطموح إلى توسيع رواق الإسلام ،وكان يوسف بن تشافين طول حياته يمتاز بروح الجهاد والمثابرة في حماية الوطن والدّين، وضرب كل ما يزعزع استقرار الدولة داخليا وخارجيا، ولعلّ من أعظم الأمثلة على ذلك موقعة

[1] أبو الحسن علي ابن محمد الجزري الشيباني بن الاثير(ت 630هـ/1232م):الكامل في التاريخ، تح عبد الوهاب النجار، ج9،ط1،دار الاستقامة،القاهرة،1338هـ،ص621 .

[2] حسين أحمد محمود،قيام دولة المرابطين،ط1،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة1957 ص195.

"الزلاّقة"[1]مع ألفونس السادس ملك قشتالة في سنة479هـ، الذي أحرز فيها ابن تشافين نصرا مؤزّرا ضَمن للإسلام قوته وعزته في بلاد الأندلس أربعة قرون أخرى. وقد أفلح كذلك في إزالة الخلافات السّائدة بين ملوك الطوائف وتوحيدهم على كلمة واحدة مفادها محاربة جيش النصارى إلاّ أنّه اكتشف أن ملوك الطوائف غير مخلصين لدينهم ووطنهم، ممّا اضطره إلى استئصال شأفتهم ومن ثمّ توحيد المغرب والأندلس في دولة واحدة[2]،وظل ابن تشافين طول حياته كذلك قائما بحكم الشّرع محبّا للعلماء والفقهاء والعامّة في سياسته الداخلية والخارجية ،إلى أن توفّي عام 500هـ[3]،ثمّ ولي الحكم من بعده ولده علي بن يوسف بن تشافين[4] الذي سار بأمور دولته سيرا حثيثا إلى الأمام فقد كانت أحوال السياسة للدولة مستقرة سواء من ناحية الحكم أو العدالة، وعمل الولاة كان يسهر عليه أمير المسلمين في بث الأمن والاطمئنان في نفوس الناس وحصانة الثغور من العدو الغادر، لكن بوفاة علي بن يوسف بن تشافين عام 537 هـ[5] والذي بدأت في عهده الثورات تظهر أهمها ثورة الموحدين[6] بعد فترة طويلة من الرخاء واستقرار الأحوال في الأندلس والمغرب، وكان قد تلقب مثل أبيه بلقب أمير المسلمين، ودخل في طاعة الخليفة العباسي وحصل منه على تفويض بالحكم في بلاده ، ثم توّلى بعده

---

[1] الزلاقة: بفتح أوله وتشديد ثانيه، وقاف، أصله من قولهم مكان زلق ، وزلقت رجله تزلق زلقا، والزلاقة: الموضع الذي لا يمكن الثبوت عليه من شدة زلقه، والتشديد للتكثير، والزلاقة: أرض بالأندلس بقرب قرطبة كانت عندها معركة بين أمير المسلمين يوسف بن تشافين مع الأذفنش مالك الأفرنج وهي مشهورة، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي(ت626هـ/1229م):معجم البلدان ج3،دط،دار صادر،بيروت،1977م، ص146.انظر الملحق رقم 01.

[2]أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني(ت1041هـ/1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تح إحسان عباس، ج1،بيروت1968 ص413.

[3]ابن خلكان :المصدر السابق ،ص125

[4]علي بن يوسف بن تشافين: أمير المسلمين بمراكش ،وثاني ملوك دولة الملثمين المرابطين ،ولد في سبتة سنة 477هـ/1084م،وبويع بعد وفاة أبيه يوسف سنة 500هـ بعهد منه ...ومن أعماله أنه عبر إلى الأندلس سنة 503هـ مجاهدا،وفتح مدينة طلاموت ومجريط ،ووادي الحجارة ،وفي فترة حكمه ظهر محمد بن تومرت الملقب بالمهدي ،فعجز علي عن دفع فتنته ،فاضطربت أموره أدى إلى موته غماّ سنة537هـ/1143م.ودامت خلافته 36 سنة وسبعة أشهر.خير الدين الزركلي :المرجع السابق ،ج5،ص33.

[5] حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته ، ج2 ،الطبعة الأولى ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1413هـ / 1992م ، ص36.

[6] المراكشي: المصدر السابق ،ص100.

في الحكم تشافين بن علي[1] أمير المسلمين، لكن ما خلّفه له أبوه من ملك عظيم مترامي الأطراف، الحافل بالمشكلات والمصاعب، مع ظهور الثورات وتطورها هنا وهناك لم يستطع الصمود في وجهها كثيرا لما لحقه من خسائر كبيرة في جنده وخاصة من قبل بعض القبائل المتعصبة. ولا سيما ما فعله الموحدين في ثورتهم[2]، انتهت بوفاته عندما حاصره عسكر عبد المؤمن ابن علي بقيادة أبي حفص عمر بن يحي[3] صاحب المهدي في مدينة وهران، فلما رأى تشافين بن علي ما لا طاقة له به وعلم أنه مأخوذ خرج فارا هو وبعض أصحابه، فمنهم من قتل ومنهم من حصل في القطائع، فبينما كان تشافين بن علي سائرا على فرسه بالليل إذ صادف حافة هوى منها ومات، فلما أصبح وجده الموحدون ميتا في تلك الحافة[4]،وذلك حدث سنة 539 هـ[5]،إذ يعتبر هذا هو التاريخ الفعلي لنهاية دولة المرابطين في المغرب والأندلس ، وأما ما بقي من ذلك فهو صراع بين المرابطين وغيرهم من الموحدين، فتوّلى الحكم بعده ابنه إبراهيم بن تشافين[6]، حيث لم تدم إمارته سوى أسابيع انتهت عام 540هـ ،توّلى بعده الحكم إسحاق بن علي بن تشافين[7] الذي قتل في مراكش على أيدي الموحدين

[1]تشافين بن علي: الأمير الثالث من أمراء المرابطين؛ دامت فترة حكمه ما بين(1143/537)و(1145/539) هو تشافين بن علي بن يوسف بن تشافين الصنهاجي اللمتوني، أبو المعز: صاحب المغرب، من ملوك دولة الملثمين. كان شجاعا بطلا،توفي سنة 539هـ. أحمد بن خالد الناصري السلاوي : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح :أحمد الناصري ،منشورات وزارة الثقافة والاتصال ،الدار البيضاء2001م،ج1،ص126

[2] الهرفي سلامة محمد سلمان: دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف تشافين ،دراسة سياسية وحضارية،ط1،دار الندوة الجديدة،بيروت1985،ص 129.

[3] هو عمر بن يحيى بن محمد الهنتاني أبو حفص، جد الملوك الحفصيين، أصحاب تونس، أصله من هنتاتة، أعظم قبائل المصاعدة الذين هم أكثرقبائل البربر في إفريقية، اشتهر بموالاته لابن تومرت ثم لعبد المؤمن ولابنه من بعده وله في دولتهم مواقف، توفي سنة (571 هـ)، الزركلي: المرجع السابق، ج 5 ،ص69.

[4]المراكشي :المصدر السابق ،ص 104.

[5]ابن خلكان :المصدر السابق، ص26.

[6] ابراهيم بن تشافين بن علي بن يوسف اللمتوني الحميري من ملوك دولة المرابطين ،الزركلي :المصدر السابق ،ج1،ص34.

[7] إسحاق بن علي بن يوسف بن تشافين من حكام الدولة المرابطية ،هو أخ تشافين بن علي. بعد أن بويع إبراهيم بن تشافين بمراكش وجدوه عاجزاً فخلع وبويع عمه إسحاق بن علي،في 541هـ، نفسه ،ج1،ص295.

هو ومن معه عام 541 هـ بعد حصار طويل وشديد على مراكش وأهلها حتى بلغ منهم القحط والجهد، وكانت هذه النهاية الرسمية للدولة المرابطية وأيام عز المرابطين.[1]

هذه أهم المراحل التاريخية لدولة المرابطين فقد كانت دولتهم مترامية الاطراف خاصة في خلافة أمير المسلمين يوسف بن تشافين وابنه علي، حيث كانوا يشرفون بأنفسهم على أمور البلاد بتنصيب الولاة والقضاة بحسب الكفاءة العلمية، مع عدم الجور في الأحكام، أو الرضوخ للإغراءات المادية ومعاقبة الولاة وتغيير مكان عملهم إذا اقتضى الحال إلى غير ذلك من وظائف دولة المرابطين السياسية ونظام حكمهم في تلك الفترة إلى أن جاء عهد تشافين بن علي بدأت ملامح التدهور الداخلي تظهر في دولة المرابطين،وتجلى ذلك في عدة نقاط منها:

– اضطراب الإدارة أدى إلى قيادة مشتتة بعدما كانت قيادة موحدة تعمل على تنسيق العمل وإصدار الأوامر التي توجه الى الجند خاصة والرعية عامّة، ممّا سبب في عدم احترام هذه الأوامر وعدم العمل بها، بل أدّى ذلك في كثير من الأحيان إلى نسخ الأمر بأمر غيره، فكانوا يكتبون اليوم شيئا وغدا ينسخونه بغيره ،فيسخر منهم جنودهم ورعاياهم[2]،

– التّسامح الشديد والتهاون في الضرب على أيدي مثيري الشغب أدى بالإخلال في أمن الدولة، فلم يعرف عن المرابطين أنهم أمروا بقتل مشاغب إلا في حالات نادرة، وكان أقصى عقاب لهؤلاء هو الاعتقال الطويل ،ويظهر ذلك جليا في تهاون الحاكم إزاء أهل غرناطة عندما ثاروا على القائد العظيم مزدرلي ،وكل ما فعله أمير المسلمين اتجاه هؤلاء المشاغبين إصدار خطاب موجه لأهل غرناطة فيه تهديد خفيف يقول فيه : "...فإذا وصل إليكم خطابنا ،فاتركوا سابقه الهوى واسلكوا معه الطريقة المثلى، ودعوا التنافس على حطام الدنيا، وليقبل كل واحد منكم على ما يعنيه ،ولا يشتغل بما ينصبه

[1] علي محمد الصلابي:الجوهر الثمين لمعرفة دولة المرابطين، ط1،مكتبة التابعين،القاهرة، 1422هـ/2001م ،ص164.

[2] الحلل الموشية في الاخبار المراكشية:تحقيق ،سهيل زكار،وعبد القادر زمامة،الدار البيضاء1978 ،ص132.

ويعنيه"[1]،ولو كان هذا التشغيب حدث في عهد الموحدين لكان مآل الجميع إلى أقصى العقاب، ولقد وصف لنا ابن صاحب الصلاة ،معاملة الموحدين للقبائل التي أجبروها على الخضوع لهم ،وترجع أهمية شهادته لكونه صنيع الموحدين ولسان حالهم، والأهم من هذا انه شاهد عيان لهذه الحوادث[2].

-استغلال ابن تومرت قبائل مصمودة[3]أسهم بقوة في إضعاف البنيان الداخلي للمرابطين ضد قبائل المرابطين الصنهاجية[4]، إذ تعود العداوة بين هذه القبائل إلى زمن بعيد، وهذا راجع إلى تباعد واختلاف نمط الحياة الاجتماعية والاقتصادية بين هذه القبائل أدى إلى صراعات عديدة بينها[5].

- فساد عدد من عمال المرابطين أسهم في إضعاف الإدارة المرابطية، وفتح مجالا للرشوة والاغتناء السريع ،وشجع صغار الموظفين على الاقتداء بهؤلاء العمال ،وتجلى ذلك في رسالة علي ابن يوسف التي أرسلها لأحد قضاته ،وهي على ما يبدوا ردا على رسالة القاضي يشكوا اليه تصرف بعض العمال (الولاة)،مما جعله يأمر القاضي بانهاء أمر أي عامل يثبت عليه أي إتهام حيث يقول في رسالته:"....وأي عامل من عمال الرعية قامت الشهادة عندك بتعدّيه ،وعلمت صحة استهدافه وتصديه،فإنه أمره إلى صاحب البلد مستعمله ومتوليه...."ويطلب من القاضي قبل القيام بهذا الاجراء التحقق من صحة التهمة ومواجهته بالاتهامات والأدلة ،حتى لا يظلم أيضا العمال ،ثم بعدها يعزله فإذا تحرّج من عزله فيجب عليه أن يعجل برفع أمره إلى السلطان نفسه[6].

---

[1] محمود علي مكي:وثائق تاريخية جديدة من عصر المرابطين ،ط1،المعهد المصري للدراسات الإسلامية ،مدريد 1859م،ص184.

[2] أبو مروان عبد الملك بن محمد بن يحي بن إبراهيم الباجي،ابن صاحب الصلاة(ت594هـ):تاريخ المن بالامامة على المستضعفين ،تحقيق عبد الهادي الناري ،دار الاندلس ،ط3،بيروت 1965 ص120.

[3]قبائل مصمودة :نسبة الى ولد مصمود بن يونس بن بربر ،وهم أكثر قبائل البربر ،وأوفرهم من بطونهم برغوطة ،وأغماره، وأهل جبل درن في المغرب الاقصى،: ابن خلدون :المصدر السابق ،ص245.

[4] الصنهاجية : هم من ولد صنهاج وهي قبيلة من أوفر قبائل البربر وهم اكثر أهل الغرب ،ولا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط ، بطرس البستاني، دائرة المعارف،ج11،ط 1،دار المعرفة، بيروت 1887، ص45.

[5] بن خلدون :المصدر السابق ص427.

[6] المكي :المرجع السابق ،ص173.

– الأزمة المالية التي اشتدت مع قيام ثورة المهدي بن تومرت[1] قد ضاعفت من التزامات الدولة العسكرية ،وساعدت على توقف الزراعة وما رافق ذلك من جذب حتى جفت الأرض ،وقلّت المجابي،وكثرت الضرائب على الرعايا أدت الى تذمر النّاس وثورتهم.

وفي مستهل القرن السادس الهجري بدأ الضعف ينخردولة المرابطين لا سيما بعد ظهور دعوة ابن تومرت في بلاد المغرب الأقصى، ثم ما لبث الموحدون أن قضوا عليها حينما دخلوا مدينة مراكش وقتلوا السلطان إسحاق بن علي بن يوسف بن تشافين سنة 541هـ[2]، وبهذا تمكن الموحدون من أن يقيموا دولتهم على أنقاض دولة المرابطين في المغرب والأندلس.

[1] المهدي بن تومرت:هو المهدي بن عبد الله بن تومرت العلوي،الحسيني من هرغة من قبائل المصامدة في جبل السوس ولد سنة473هـ وتوفي سنة 524،كان فقيها فاضلا ،عالما بالشريعة، عارفا بأصول الفقه والدين ،رحل الى المشرق لطلب العلم وعاد بحرا متفجرا من العلوم،ابن الاثير :المصدر السابق،ص569.

[2] محي الدين أبو محمد عبد الواحد المراكشي (ت647هـ/1250م):المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دط، دار الفرجاني للنشر والتوزيع،القاهرة1414هـ/1494م، ص241.

المطلب الثاني: الحياة الدينية قبل نهاية عصر المرابطين

إنّ أول المذاهب دخولا إلى الاندلس هو مذهب الإمام الأوزاعي ت(157هـ/774م) ،وهو ما أشار إليه الحميدي في الجذوه[1] ،وأكده المقري بقوله:"...وأعلم أن أهل الأندلس كانوا في القديم على المذهب الأوزاعي وأهل الشام منذ أول الفتح..."إلا أن هذا المذهب لم يدم طويلا ،فما كان أواخر القرن الثاني حتى توارى ليخلفه مذهب مالك بن أنس، وقيل أن أول من أدخل فقه مالك إلى الأندلس هو أبو محمد الغازي بن قيس ت(199هـ/814م)كما ذكره ابن فرحون[2] ،وقد كان للسلطة السياسية دور نشيط في نشر هذا المذهب وتغليبه،،فقد ذكر المقري أنه "في دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن (206هـ/821م)وهو ثالث الولاة بالأندلس من الأمويين انتقلت الفتيا إلى رأي مالك بن أنس وأهل المدينة ،فانتشر علم مالك ورأيه بقرطبة والأندلس جميعا " وبقي هذا المذهب غالبا بالأندلس غلبة مطلقة إلى عهد المرابطين وبداية عهد الموحدين ،ولم يكن معه إلا حضور خفيف للفقه الحنفي الذي لم يعمّر طويلا ،وحضور للفقه الظاهري استطاع أن يؤثر بعض التأثير بفعل شخصية ابن حزم وعمقه وأصالته في البحث الشرعي[3].

إن هذا الانفراد لمذهب مالك في الفقه جعل الناس يؤثرونه ويتشبثون به وتكونت له في نفوسهم منزلة جعلتهم يطرحون كل المذاهب القادمة سواه ،وقد يعمدون إلى مضايقة من يعتنقها كما صوره المقدسي في قوله:"...أما المذاهب فعلى ثلاثة أقسام: أما في الأندلس فمذهب مالك وقراءة نافع ،وهم يقولون لا نعرف إلا كتاب الله وموطأ مالك ،فإن ظهروا على حنفي أو شافعي نفوه....وسائر المغرب إلى مصر لا يعرفون مذهب الشافعي رحمه الله إنما هو حنيفة بن النعمان ومالك رحمهما الله" ،وربما ضاق التمسك بالمذهب المالكي إلى حد الأخذ برواية من رواياته والاكتفاء بها دون غيرها ،وهو

---

[1] ابو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي(ت488هـ):جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي،ط1،مكتب نشر الثقافة الاسلامية،القاهرة1952، ص203.

[2] أبو الوفاء ابراهيم بن محمد بن فرحون) هـ799ت(:الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المغرب، تح محمد الأحمدي أبو النور،ط2،مكتبة دار التراث ،القاهرة 2005،ص219.

[3] المقري :المصدر السابق ،ص230.

ما ذكره أحمد بابا نقلا عن أبي موسى بن الإمام(749هـ/1347م) من أنّ أهل الأندلس في قرطبة شرطوا "أن لا يخرج القاضي عن قول ابن القاسم ما وجده احتياطيا ورغبة في صحة الطريق الموصل لمذهب مالك" ،ويبدو أنّ التمسك بمذهب مالك بلغ درجة استحال بها في بعض الأحيان إلى نوع من التعصب، وهو ما صوره في شيء من المبالغة ابن حزم في قوله"...قد وصل أهل الأندلس في تقليد مالك حتى يعرضوا كلام الله تعالى وكلام رسوله على مذاهب إمامهم ،فإن وافقاه وإلا طرحوهما وأخذوا بقول صاحبهم ،مع أنه غير معصوم ،ولا نعلم بعد الكفر بالله تعالى معصية أعظم من هذا[1].

إنّ الفقه المالكي متمثلا في تلك الأقوال والتفريعات التي أخذت عن تلاميذ مالك وخاصة ابن القاسم منهم ،نال في نفوس أهل الأندلس مكانة عظمى ،واكتسب من التقدير والمهابة ما أصبح به في الضمير الشعبي عنوانا للدّين نفسه ،فكان من تعبد به قد أقام الدّين ،ومن أخل به قد أخل بالدّين وقد أدى هذا الوضع إلى أن يؤول الفكر الشرعي في القرن الخامس إلى الجمود على الآراء الفقهية المأثورة عن تلاميذ مالك السابقين ،و التنكب عن دراسة المعين الذي استندت اليه تلك الأقوال من أصول الشريعة لاستخراج أحكام مستجدة تعتمد حلولا لنوازل الحياة المستأنفة.

لقد عرف بعض الفقهاء القادمين من المشرق إلى الأندلس في موطنهم الأصلي جدلا وحوارًا فكريًا حول علم الأصول وضرورته، ولما أطلق المرابطون أيديهم في مؤسسات الدولة وجدوا في سياسة المرابطين ما يغنيهم عن عناء التجديد، وحققوا نوازعهم في إغلاق الحوار وباب الاجتهاد، وشكلوا من جديد في المغرب و الأندلس في عهد المرابطين آلية الدولة الجديدة كما كانت حالهم في الأندلس أيام الأمويين وملوك الطوائف. وبلغت سطوتهم أوجها في الدولة المرابطية في عهد الأمير تشافين بن علي بن يوسف بن تشافين، فملكوا كل السلطات السياسية والقضائية والتشريعية، ونقرأ في رسالة تشافين الموجهة إلى أهل بلنسية وهي من تدبيج الفقهاء :"...اعلموا أن مدار الفتيا ومجرى الأحكام هو على مذهب إمام دار الهجرة، فلا عدول لقاض، ولامقت عن مذهبه، ولا يؤخذ في تحليل أو تحريم إلا

[1] أبو العباس أحمد بابا التنبكي(ت1036هـ):نيل الابتهاج بتطريز الديباج ،ترجمة عباس بن عبد السلام بن شقرون،ط1، د دن، مصر1351هـ،ص191.

به..."[1] ، وهذا يعني أن الفهم الحقيقي للإسلام هو فقط فهم فقهاء المالكية، وإنهم يقولون لا إسلام إلا إسلام السلف الصالح كما حافظ عليه مالك ،ولهذا اعتبروا كل تجديد تفرضه طبيعة الحياة هو ضرب من البدع، وعلى هذا سعّروا الحرب ضد الشوافع والأشاعرة والمتصوفة والمعتزلة والفلاسفة وتقول رسالة تشافين وهي كما قلنا من صنيعة الفقهاء "ومتى عثرتم على كتاب بدعة، وخاصة كتب أبي حامد، فليقطع بالحرق المتتابع خبرها. وتغلَّظ الأيمان على من يتهم بكتمانها."[2] ، وقد أحرقت كتب الغزالي لأنه يعتبر أن علم الفروع في الشريعة الإسلامية يحتل المرتبة الثانية بعد علم الأصول[3] وهكذا فإن جمود الفقهاء وتعصبهم لآرائهم قد حول مذهب مالك من مذهب يدعو إلى الزهد والبساطة والاقتداء بسلوك الصحابة إلى مرسوم سلطوي يصمم وينفذ بحد السيف .

رأى البعض أنّ حكم المرابطين قد جنى بأساليبه الردعية على سير الحركة الفكرية الأندلسية، وعاقها عن التقدم والازدهار، وكل ما يمكن أن يقال في ذلك هو ما اتخذه المرابطون من إجراءات للحجر على الدراسات الكلامية والشرعية والفلسفية، وتوجيهها إلى وجهاتهم الخاصة، ومطاردة كتب الأصول قد يكون له أثره في سير هذه الدراسات وتطويرها، وإن كان لا يحق أن نبالغ في تقدير هذا الأثر[4].

ففي عهد المرابطين لا نظفر بما يفيد اهتمام أهل التشريع بدراسة القرآن والحديث من جهة كونهما الاصلين الاولين لاستخراج الأحكام الفقهية ،وهو ما وصفه المراكشي متحدثا عن عهد علي بن يوسف فقال :"نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فلم يكن أحد من مشاهير أهل ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء"[5] ،ولذلك فقد ضعف النظر في علم أصول الفقه والخلافيات،وانعدم أو كاد التناظر بين الفقهاء في طريق الاستنباط التي تتأسس عليها فروع الفقه فيما

---

[1] عبد الله العروي :مجمل تاريخ المغرب ج 2،ط5،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء1996م،ص ص120،121.

[2] نفسه :ص129.

[3] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي(ت505هـ/1111م):إحياء علوم الدين ،دط،دار المعرفة ،بيروت ،د،ت ،ن ،ص 58.

[4] محمد إبراهيم الفيومي : تاريخ الفلسفة الإسلامية ،ط1، دار الجيل، بيروت 1997 م، ص 166.

[5] عبد الواحد المراكشي:المصدر السابق،ص236.

كان ذلك مزدهرا بين فقهاء المشرق،وهو ما كان ملحظا لابن رشد حين قال:"ولو رام انسان اليوم من تلقاء نفسه أن يقف على جميع الحجج التي استنبطها النظّار من أهل المذاهب في مسائل الخلاف التي وضعت المناظرة فيما بينهم في معظم بلاد الاسلام ماعدا المغرب ،لكان أهلا أن يضحك منه"[1]

إنّ هذا الإهمال لعلم أصول الفقه أسقط الفكر الشرعي بالأندلس مقابل الاهتمام بالمسائل الفرعية للفقه ،وانصرفت الهمة إلى مجرد الاشتغال بها شرحا واختصارا، وبالتالي وقع الابتعاد عن روح الاجتهاد ،مما أدى إلى الوقوع في تقليد اللاحق للسابق، وإنزال الحكم القديم الصادر عن عالم متقدم على الحادثة الجديدة التي ربما تتغير ظروفها وملابساتها عن تلك الظروف القديمة[2]

لقد ظلّ الأندلس خلال حكم المرابطين على الطريقة السلفية في الإعتقاد ،إيمانا بحقيقة العقيدة في صورتها البسيطة المأثورة عن السلف ،وإمرارا للنصوص على ظاهرها دون تعرض بالتأويل لما ورد من تشابه في الصفات الإلاهية ،مع التنزيه للخالق أن يشبه المخلوقين في ذاته أو صفاته[3]،ويبدوا أنّ هذا الوضع العقدي قد ركّزه في أهل الأندلس وعمقه في نفوسهم تلك التوجيهات الصادرة عن المذهب المالكي،وقد ساعد على ذلك خلو هذه المنطقة من الفرق الكثيرة المتعارضة التي يؤدي إحتكاكها ببعضها إلى حركة من الجدل والصراع الفكري الذي يمتد إلى مواضيع العقيدة،فينشأ فيها الاستدلال والتأويل على غرار ما حدث بالمشرق وهو ما أشار إليه ابن حزم في مقام تعليل ضعف علم الكلام بالأندلس حينما قال:"...وأما علم الكلام فإن بلادنا وإن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ،ولا اختلفت فيها النحل ،فقلّ لذلك تصرفهم في هذا الباب ،فهي على كل حال غير عارية عنه، وقد كان فيها قوم يذهبون إلى الاعتزال ،نظّار على أصوله."[4]

---

[1] أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد(ت595هـ/1198م):فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال،تحقيق،محمد عمارة،ط1،دار المعارف،مصر1972،ص ص28،27.

[2] الفرد بل:الفرق الاسلامية للشمال الإفريقي ،تحقيق،عبد الرحمن بدوي،ط1،دار ليبا للنشر والتوزيع،بنغازي1969، ص241.

[3] السلاوي :المصدر السابق ،ص176.

[4] المقري :المصدر السابق ،ص176

قد كان العلم الذي يهتم بالعقيدة، ايرادا للاستدلالات وردا للشبه وتناولا للمتشابه وتأويلا لظواهر بعض الآيات ،يلقى المعارضة من عموم أهل الأندلس والمغرب ،وهو ما يبدوا في النكير الذي يواجه به من يتعاطى هذا العلم من قبل سائر العلماء ،وربما بلغ أمر النفرة من هذا العلم رمي المشتغلين به بالكفر والزندقة ،وهو ما يقتضي إعلان مقاومته ومنع إفشائه بين الناس،كما صوره أبو الحجاج يوسف بن محمد بن طملوس ت620هـ/1223م[1] متحدثا عن معارضة الناس بالأندلس لكل علم جديد إذ يقول:"...إتصل بهم علم أصول الدين فاعتقدوا فيه ما اعتقدوه أولا في مذاهب الأئمة من أنه كفر وزندقة..."[2]،وقد بلغت هذه النزعة أوجها في عهد علي بن يوسف بن تشافين حيث وجدت في طبيعة الثقافة المرابطية القائمة على الفقه ما يدعمها ووجدت في السلطة السياسية ما يعمل على تأكيدها ويتخذ منها أسلوبا رسميا في الثقافة العامة ،سخرت أجهزة الدولة لإمراره ونشره ،وقد وصف المراكشي ذلك بدقة في قوله:"...ودام أهل ذلك الزمان كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام، وقرّر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السّلف لهم ،وهجرهم من ظهر عليه شيء منه، وأنّه بدعة في الدّين وربما أدّى أكثره إلى إختلال في العقائد في أشباه لهذه الأقوال،حتى استحكم في نفسه بغض علم الكلام وأهله ،فكان يكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه ،وتوعّد من وجد عنده شيء من كتبه...".[3]

إنّ غياب الفكر العقدي المؤصّل في مسائل العقيدة المفسّر لما ورد من الصفات الخبرية قد تجعل بعض الأفهام العقدية في اتجاه التشبيه والتجسيم خاصة عند الذين لم يحضوا بثقافة دينية أصيلة، وهو ما أشار إليه ابن حوقل ذاماً فقهاء المالكية إذ يقول :"...والمالكيون من فظاظ الحشوية ..."[4]،ولكننا نعتقد أن ذلك بقي ظاهرة جزئية قد تبرز في أماكن وأزمنة محدودة، ونرى من المبالغة ما ذهب إليه

---

[1] عالم طبيب من الأندلس ،تعلم على ابن رشد ،كان متدينا لين الجانب ،متحققا بعلوم الأوائل، أبو عبد الله ابن الأبّار محمد بن عبد الله بن الابار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق ابراهيم الابيار ،ج2،ط1،دار الكتاب اللبناني،بيروت، 1989،ص739.

[2] أبو الحجاج يوسف بن محمد بن طملوس:المدخل لصناعة المنطق،تحقيق :اسين بلاسيوس ،مطبعة الابيرقة ،مدريد 1916،ص11.

[3] عبد الواحد المراكشي:المصدر السابق ،ص ص236.237.

[4] أبو القاسم بن حوقل النصيبي :صورة الارض،ط2،دار مكتبة الحياة،بيروت،ب ت، ص90.

البعض من القول بظهور تيار تشبيهي تجسيمي عمّ الأندلس في عهد المرابطين على الأخص[1]،ولاشك أنّ منشأ هذه المبالغة تعود إلى الدّعاية التشويهية للموحدين ضد المرابطين وإطلاقهم اسم المجسمين عليهم إمعانا في تشويههم، وتأليب الناس عليهم، ومن خلال هذه الثغرة استطاع مهدي الموحدين بذكاء ودهاء أن يشيع مثل هذه الاتهامات ،فأتى بعض الناس السّذج من ناحية العقيدة ،ورمى المرابطين بكل نقيصة، فسارع هذا الأخير بكل دهاء إلى هدم أكان الدولة المرابطين بدءا بالناحية الفكرية(الدينية) وانتهاء بالحروب العسكرية.

[1] أحمد محمود صبحي :في علم الكلام ،المعتزلة،ج1،ط5،دار النهضة العربية، دمشق 1985 ،ص647

المطلب الثالث :سقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين

جعل ابن تومرت الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر أصلاً في دعوته، ولذلك اجتهد في محاربة المنكرات التي انتشرت بين عوام الناس بكل ما يملك من قوة ووجّه سهامه نحو الفقهاء التقليديين للتّقليل من هيبتهم وإضعافهم، ليتسنى له أن ينشر عقيدته المختلطة ،ويؤصّل ما يريد من الأحكام والأقوال على النّهج الذي يخدم أهدافه، وساعده في تحقيق ذلك كون أنّ أتباعه من البدو والجهلاء الذين لا يستطيعون أن يفهموا الشريعة من أصلها المعتمد (القرآن والسنة)، وكتب لهم شيئاً في العقائد والعبادات بعضها باللسان البربري ،واهتمّ بالجانب الروحي ،كما اعتمد في تربيته لأصحابه على التزهيد في متاع الدنيا ،والترغيب في الآخرة، والإعداد للجهاد في سبيل الله طلباً للشهادة.

حرص ابن تومرت بعد رجوعه من رحلته الدّراسية أن يسلك طريق النّصح والإرشاد والوعظ، لذلك اتصل بالأمراء وولاة الأمر في المدن والعواصم، يعضهم ويرشدهم، ويبيّن لهم مواقع الانحراف والفساد، ويحمّلهم المسؤولية في ذلك، ويحثّهم على القيام بالأمر الواجب من محاربة المنكر، ونشر المعروف وتوّج أمره بنصح أمير المسلمين المرابطين على بن يوسف، ونبّهه إلى انتشار المنكرات ووعظه وأغلظ له القول، وقال له: "...إنّما أنا رجل فقير طالب الآخرة ولست بطالب دنيا، ولا حاجة لي بها، غير أنّي آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأنت أولى من يفعل ذلك، فإنّك المسؤول عنه... "، وبعد ذلك خلع بيعة علي بن يوسف من عنقه، وأمر أتباعه بخلع بيعتهم لعلي بن يوسف من أعناقهم، فأعلن الجميع بخلعه.[1]

انتهج ابن تومرت سياسة واضحة المعالم للقضاء على النظام القائم وبناء نظام جديد، وكانت خطته تسير في أمرين اثنين: حملة نقدية للمرابطين وإقامة تنظيم سياسي.

لقد شنّ ابن تومرت هجوماً نقدياً على حكام المرابطين، محاولاً فسخ ولاء القبائل الموالية للمرابطين فسخاً نهائياً، وترسيخ ولائهم له فكان يقول لأتباعه :"...فكل من أطاعهم فهو يعصي الله

[1] علي محمد الصلابي, دولة الموحدين,ط1 ،مكتبة الإيمان, المنصورة،2004م، ص، 79.

وكل من أعانهم فهو يعينهم على ظلمهم في سفك دماء المسلمين وأخذ أموالهم، فكل من أعانهم من القبائل فادعوهم إلى التوبة والإنابة، وترك معونة المجسمين والمرتدين والمعتدين ،فإن قبلوا منكم ورجعوا وأعانوكم على جهاد الكفرة فخلوا سبيلهم وهم إخوانكم في دين الله ،وإن عاندوا الحق وأصروا على معونة أهل الباطل والفساد فاقتلوهم حيث وجدتموهم...".[1]

كما شن حرباً نفسية على حكام وأمراء وأتباع المرابطين في رسالته إليهم: "...إلى القوم الذين استزلهم الشيطان، وغضب عليهم الرحمن الفئة الباغية والشرذمة الطاغية لمتونه..." وهكذا شرع ابن تومرت في توجيه حملة نقدية إلى دولة المرابطين ،ووسع نطاقها، واستهدف بها جميع الناس موالين أو معادين، وحرص على أن يعزل الحكام عن عامة النّاس بفضح سياستهم، وتضخيم أخطائهم تنفيراً للنفوس منهم، وتمهيداً لنزع ولائهم، ثم لمعاداتهم وإمعاناً منه في تهجينهم وتشويه صورتهم ،واخترع الألقاب المشينة ورماهم بها.

وضع ابن تومرت لدولته الجديدة تشكيلاً سياسياً خاصاً، بحيث يضمّ وينظّم ويرتّب جميع أفراد الدولة حتى يضمن ويعمق ولاءهم للدعوة، وليتمكّن من مراقبتهم والإشراف عليهم، ولذلك نظّم أتباعه في طبقات متباينة في عددها، مختلفة في واجباتها الملقاة على عاتقها .

لقد كانت الآفاق السياسية واضحة المعالم في فكر محمد ابن تومرت، ولذلك أسس بديلاً سياسياً اجتماعياً تربوياً ليحل محل النظام السياسي والاجتماعي والتربوي في دولة المرابطين ،وقد أظهر ابن تومرت في منهجه السياسي ملكة تنظيمية كبيرة، وقبض بيد من حديد على أنصاره، فأعطى مجلس العشرة سلطاناً كبيراً وحكّمهم في الناس ،وجعل مجلس الخمسين كلهم رؤساء القبائل ،وسيطر بواسطتهم على قبائلهم، وجعل الجميع عيوناً له، بعضهم على بعض، يوافونه بكل صغيرة وكبيرة مما يقع حوله أو ما يصلهم من أنباء ،مما جعل ابن تومرت مطلعاً على أمور مجتمعه الجديد

[1] نفسه ،ص 80.

وأصبح مطاعاً ومرهوباً في جماعة كبيرة من المصامدة ،تطيعه طاعة عمياء حقاً وتخاف منه خوفاً شديداً.[1]

لقد كانت مهمة ابن تومرت صعبة جداً ،حيث أنّه استهدف دولة عرفت بجهادها في الصحراء الكبرى وفي إسبانيا، وكان لها الفضل في توحيد المغرب الأقصى مع الأندلس، واشتهر حكامها بالصلاح والعدل والجهاد وحب الخير لعموم الأمة، ولذلك حرص على تعبئة أنصاره ،وإقناعهم أنهم على درب الحق ،وأنّ خصمهم على درب الباطل.

كان ابن تومرت يبشر أصحابه بالغنائم والنصر قبل نشوب المعارك فيقول لهم: "...انظروا إلى أعدائكم، واعلموا أنّ كل ما جاؤوا به من خيل وعده إنّما هو هدية من الله تعالى لكم، على غربتكم وفقركم، فأعطاكم وأغناكم..."، وكان ينزل في المعارك بنفسه، ويبدوا أن ابن تومرت لم تكن تعوزه الخبرة العسكرية، فقد تمرس بالقتال في الميدان، وتعرض في كثير من الأحيان إلى السقوط في خضم المعركة كما تعرض إلى جراحات السيوف، وكثيراً ما كان يشير على عسكره بقواعد حربية ناجحة.[2]

لقد كانت لتلك الانتصارات المتوالية التي حققها الموحدون أثرها الكبير في ذيوع المهدوية التي ادعاها، وظن كثير من أتباعه أنها تتمثل في شخص ابن تومرت ،وبذلك كثر أتباعه ،وعظمت ثقته بنفسه وقوته، فكثرت هزائم المرابطين على يد الموحدين ،على الرغم من أن قادة جيوش المرابطين كانوا من أفضل قادة الدولة ،وفي الوقت الذي كانت فيه الجيوش المرابطية تصد أعتى وأقوى الجيوش القشتالية في إسبانيا ،إلاّ أنّ هناك عدة عوامل أسهمت في صنع هذه الهزائم منها:

الاستراتيجية العسكرية التي اتبعها ابن تومرت في قتاله مع المرابطين ،وقد ساعدته وعورة أرضه على عدم مواجهة أعداد كبيرة من جيوش المرابطين دفعة واحدة ،كما أن الجيوش المهاجمة عادة تحتاج الى وقت للتأقلم على ساحة المعركة الجديدة، بينما كان ابن تومرت وأتباعه يقاتلون على أرض خبروها

[1] الصلابي :المرجع السابق، ص 82.

[2] نفسه ، ص86.

وعرفوا مسالكها ،وهذا عامل مهم من عوامل نصر الجيوش ،والأهم من ذلك أن أتباع ابن تومرت كانوا يقاتلون بمعنويات عالية بعد أن بايعوا ابن تومرت على أنه المهدي في الوقت الذي كانت فيه معنويات جند المرابطين منهارة، فكانوا ينهزمون دون قتال لغلبة التردد عليهم ،وعدم وضوح الهدف ،فالجندي المرابطي كان في حيرة فهو يقاتل مسلمين من أبناء جلدته ،وهو يسمع كل يوم بأن القبائل تتوافد على ابن تومرت وأتباعه بعد ما شاعت الأخبار عما يتمتع به من علم ،وزهد، وتقشف، وأنه المهدي ،كل هذه الأمور كانت تجعل من الجندي المرابطي مضطرب النفس ،متردداً في إقدامه على قتال ابن تومرت ،ولذلك كان يفضل الفرار على الصدام.

ارتكزت استراتيجية ابن تومرت على استنزاف قوى الدولة المرابطية باستخدام أسلوب حرب العصابات، وتجنب الدخول معها في معارك فاصلة، فأخذت جيوش ابن تومرت تروح وتغدو على محلات المرابطين ،كما قام بتطهير صفوفه من بعض الأشخاص الذين يشك في ولائهم له، كل هذا أسهم بقوة في تحقيق انتصارات عسكرية ضد المرابطين والحاق الهزائم المتتالية بهم.

قضى ابن تومرت عقدا من السنين يضع أسس هذه الثورة في واجهاتها الثلاث ،في جهد لا يلين وعزيمة لا تثنيها الأحداث ،ولا تهونها عوامل التثبيط الكثيرة حتى استطاع أن يوفر العوامل الصالحة لنمو هذه البذرة التي بذرها، ولكنّه قبل أن يشهد نجاح الثورة وبسط سلطانها الفكري والسياسي والعسكري الذي لم يتم إلا على يد خليفته عبد المؤمن ،ولم يبلغ ابن تومرت حين وفاته إلا خمسين عاما ،وكانت وفاته سنة 524هـ/1229م[1].

[1] اختلف المؤرخون في تاريخ وفاة المهدي ابن تومرت، فبينما يذكر ابن خلدون انه توفي سنة 522هـ ،يتفق سائر المؤرخين انه توفي سنة 424هـ/1129م...ابن القطان المراكشي(ت600هـ):نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، د ط، دار الغرب الإسلامي ،بيروت، د ت،ص74.

ويمثل تولي عبد المؤمن بن علي[1] أمر الموحدين مرحلة جديدة من مراحل الصراع بين المرابطين والموحدين وبداية تحول في تاريخ الموحدين، فقد استطاع عبد المؤمن أن يضع الأساس المتين لدولة الموحدين فقد قضى عاماً ونصف العام بعد توليه خلافة محمد بن تومرت ينظم شئون الموحدين ويحشدهم و يستنفرهم لقتال المرابطين، وقد عبأ سنه 526هـ جيشاً جراراً وسار به لمنازلة المرابطين ،فأخضع أغلب أقاليم دولة المرابطين لسلطته وذلك خلال السنوات من 526هـ إلى540هـ ،حيث جرت معارك محلية بينهما كان النصر فيها دائماً للموحدين، وفي نهاية عام 540هـ لم يكن ثمة شك في انهيار دولة المرابطين وسلطاتهم.[2]

وهكذا نجح الموحدون في إسقاط دولة المرابطين بعد سلسلة طويلة من الصراع المرير ،استخدم فيها الطرفان مختلف الخطط ضد بعضها البعض، ولكن خطط الموحدين كانت أحكم من خطط المرابطين فقد اعتمد الموحدون أسلوب الحرب الطويلة مستخدمين أسلوب حرب العصابات فقضوا على اقتصاديات دولة المرابطين، كما أن هذا الوضع شجع الإسبان على تشديد الضغط على المرابطين لتحويل المعركة لصالحهم.[3]

وقد صور صاحب الحلل الموشية ذلك بقوله:"...وتأججت نار الفتنة بالمغرب، وبسبب هذه الفتنة اتصلت الحرب، وغلت الأسعار، وتوالت الفتن، وعم الجدب، وقلت المجابي، وكثر على أهل الإسلام المحن بالعدوتين، ووجه كثير من حماه الأندلس إلى العدوة، ونقل إليها كثير من أسلحتها وعددها، فكان ذلك أعظم فساد حل بالأندلس، وألح النصارى بالضرب على جهات بلاد الأندلس حين علموا بعجز الإمارة بالمغرب عن الدفاع لما فيه من الفتن حتى تغلبوا على كثير من بلادهم، وكان

---

[1] أبو محمد عبد المؤمن بن يعلى بن مروان بن نصر بن عامر بن الأمير بن موسى بن مادغيسن بن بر بن قيس بن عيلان بن عدنان ،ولد سنة 487هـ في أسرة فقيرة في قرية تاجرا نواحي ندرومة ،طلب العلم في بلدته ثم رحل إلى ملالة أين التقى "بابن تومرت"، كان عالما حازما توفي سنة 558هـ،وهو المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين ،ابن أبي زرع: المصدر السابق،ص184

[2] سوادي عبد محمد صالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دط، المكتب المصري، القاهرة، 2004م، ص: 163

[3] الصلابي :المرجع السابق ،ص 116.

الإسلام بها عزيزاً والكفر مقهوراً والجزية مرتفعة منذ ملكها يوسف بن تشافين إلى زمان خروج المهدي، فساءت الأحوال وكثرت الشدائد والأهوال...".[1]

لما توفي ابن تومرت اتفق شيوخ الموحدين على مبايعة عبد المؤمن بن علي لأنّه الأقدر على حمل أعباء هذه الدولة الفتية، وإلى أنّه أقرب الناس إلى زعيمهم، فبويع بإمرة المسلمين، ولكنّه وجد الطريق شائكا أمامه كيف لا، وهو بصدد هدم أركان دولة المرابطين التي قامت على تعاليم الإسلام النقية. واتخذت من جهاد النصارى في الأندلس سوى الغيرة على الإسلام عندما أخذت معاقل المسلمين تتهاوى تحت مطارق ألفونسو، وبذلك أخروا سقوط الأندلس بيد النصارى عدة قرون ولم يكتف عبد المؤمن بما وصل إليه أستاذه، بل كان طموحه أكبر منه، فأخذ يجهز الجيوش لغزو المغربين الأوسط والأدنى، ولم يتوقف عن زحفه حتى انصاعت له القبائل بالولاء والطاعة وبهذا وحد المغرب تحت راية الموحدين، وفي هذه الفترة الزمنية كانت أحوال الأندلس مضطربة نتيجة تخاذل حكام المرابطين وتواكلهم فوجد الفرصة لضم عدوة الأندلس إلى حكمه فشد الرحال، وعقد العزم، فعبر البحر، واستقبله أهل سبتة بالترحيب وبايعوه، وبهذا أخذت مدن الأندلس الواحدة تلوى الأخرى تنصاع للموحدين حتى تّم فتح الأندلس سنة 556هـ[2].

وبهذا يعتبر أول من وحد المغرب العربي تحت حكم أبنائه، وضم إليه الصحراء إلى شمال الأندلس، وبعد وفاة عبد المؤمن خلفه ولده أبو يعقوب يوسف[3]، ولم يقل أهمية عن والده خاصة بعد أن دعم أركان دولة الموحدين فأخذ على العمل على ازدهار المغرب والأندلس في جميع الميادين، وإخماد نار

---

[1] محمد السيد, تاريخ دولتي المرابطين والموحدين،ط2،مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية2010،ص 54.

[2] السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير "العصر الإسلامي"، ج2،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1981 ،ص 792

[3] أبو يعقوب يوسف ابن أبي محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي صاحب المغرب، كان فقيها حافظا لأن أباه هذبه، كان ميالا للفلسفة والحكمة أكثر من ميله إلى الأدب وبقية العلوم، كان جماعا مناعا، ضابطا لخراج مملكته تنسب إلى الدنانير اليوسفية، كان أبيض تعلوه حمرة، شديد الشعر، حلو الألفاظ، حسن الحديث طيب المجالس، توفي سنة 580 هـ، ابن خلكان: المصدر السابق، ص 130.

الفتن في الأندلس وتوالى حكام الموحدين الواحد تلوى الآخر حتى سقطت على يد المرنيين في وقعة العقاب[1]، مقبرة الحكم الموحدي، بسبب ثورة بني غانية[2] إضافة إلى ثورات الأعراب المتتالية كقبائل بني سليم وبني هلال) التي سكنت افريقيا وبعد ذلك استقرت في المغرب الأقصى، إضافة إلى النزاع القائم بين أمراء الموحدين على الحكم وضعف حكامهم المتأخرين، وإهمالهم لمصالح رعاياهم، فسقطت الدولة الموحدية سنة (668 هـ/ 1269 م) بعد صراع طويل، وبعد أن عمرت قرابة قرن ونصف قرن فكانت أعظم حضارة في بلاد المغرب.

[1] معركة العقاب : عرفت الموقعة عند الاسبان باسم "لاس نافاس دي تولوسا"وكانت في عام 1212م/609هـ،ويسمي المؤرخون المسلمون هذا الموضع بـ"العقاب"، نسبة إلى حصن أموي قائم بالقرب من المكان الذي دارت فيه المعركة.وقد انهزم فيها المسلمون شر هزيمة ما عجلّ بسقوط دولة الموحدين في المغرب وجنوب الأندلس ، وشجعت الممالك المسيحية في اسبانيا علي غزو أراضي الاندلس الاسلامية.بطرس البستاني:معارك العرب في الاندلس ،ط1،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،القاهرة 2012،ص57.

[2] هم قبائل من بقايا المرابطين تحالفوا مع قبائل بني سليم وبني هلال، فتمردوا على الموحدين وطالبوا بحكم أجدادهم المرابطين ، عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق،ص229.

المبحث الثاني: لمحة عن المذهب الاشعري

المطلب الاول: نسب الأشعري، ومولده، ونشأته.

هو علي بن اسماعيل بن أبي بشر بن سالم بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وكان أبوه إسماعيل بن إسحاق من أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث[1].

وقد أطبق المؤرخون على صحة نسب الأشعري إلى جده أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وكانت تساق إلى الأشعري أوقاف جده بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري "رضي الله عنه"[2].

كانت ولادته بالبصرة سنة 260هـ/874م،موطن أبائه وأجداده، فإن أبا موسى الأشعري قدم إلى البصرة سنة 17 هـ حين استعمله الخليفة عمر بن الخطاب "رضي الله عنه "واليا عليها[3]

نشأ الأشعري ربيبا في حجر زوج أمه محمد بن عبد الوهاب الجبائي زعيم المعتزلة[4] في زمانه،فقد تعلّم عليه، وأخذ عنه على مدار أربعين سنة، فبلغ مكانة ومنزلة في مذهب المعتزلة حتى صار علما من أعلامها، ينوب عن شيخه في الدّروس والمناقشات الاعتزالية، بل وأصبح يؤلف الكتب لدعم مذهبهم ،وهي كتب صارت معتمدة في مذهب الاعتزال حتى قال الأشعري نفسه عن أحدها بعد أن نقضه ورد عليه:"إنّه لم يؤلف له كتاب مثله"[5]،وقد قال فيه الذهبيّ :"كان عجبا في الذكاء ،وقوّة في

---

[1] أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر(ت571هـ): تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام الأشعري،،ط1،مطبعة القدس، دمشق 1347هـ،ص35.

[2] نفسه ،ص142.

[3] ابن الاثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة ،تحقيق محمد إبراهيم البنا وأخرون، دط ، مطبعة الشعب ،القاهرة،ص367.

[4] المعتزلة :هم أصحاب واصل بن عطاء الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري، خالفوا مذهب السلف فقدموا العقل على النقل، علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي(ت816هـ):كتاب التعريفات، تح نصر الدين التونسي،ط1،شركة ابن باديس للكتاب،الجزائر1430هـ/2009م،ص347.

[5] ابن عساكر: المصدر نفسه، ص131

الفهم "[1].وقال أيضا:" ولأبي الحسن ذكاء مفرط، وتبحّر في العلم ،وله أشياء حسنة ،وتصانيف جمّة تقضي له بسعة العلم"[2]،وكان الأشعري زاهدا متواضعا قانعا متعففا يأكل من ضيعة وقفها جده بلال بن أبي بردة على عقبه ،وكان دمث الأخلاق ،صاحب دعابة ومزاح، يجذب القلوب بحديثه

في نهاية القرن الثّالث للهجرة وقع خلاف بين أبي الحسن الأشعري وشيخه أبي علي الجبائي في مسائل كثيرة ،وخاصة في المناظرة التي كانت بينهما والمتعلقة في وجوب الصلاح والإصلاح على الله تعالى لعباده، وقد ظهر فيها بهت الجبائي واضحا وجليا ،والتي بسببها اختفى أبو الحسن مدة عن الناس، خالياً بنفسه ليعرف الحق، ومال إلى طريقة ابن كلاب[3] ،معلنا رجوعه التّام عن جميع أقوال المعتزلة ،فبعد أن كان لهم ناصرا أصبح عليهم حربا، وأتبع ذلك بكشف ضلالتهم والرد عليهم بأسلوب كلامي قوي يوازي ما عند المعتزلة من قدرة وأساليب في استعمال البراهين العقلية، ويقول ابن عساكر- فيما رواه عن ابن عذرة – في قصة رجوع الأشعري وصعوده المنبر وإعلان ذلك على الملأ:"....ودفع الكتب إلى الناس فمنها كتاب اللّمع ،وكتاب أظهر فيه عوار المعتزلة سماه بكتاب (كشف الأسرار وهتك الأستار) وغيرها، فلما قرأ تلك الكتب أهل الحديث والفقه من أهل السنة والجماعة أخذو ما فيها ،وانتحلوه ،واعتقدوا تقدمه، واتخذوه إماما، حتى نسب مذهبهم إليه.[4]

وبعد صراع مرير مع المعتزلة في البصرة انتقل إلى بغداد عاصمة الخلفاء والعلماء من المحدثين والفقهاء الذين كان لهم الأثر الكبير في عودة الأشعري إلى مذهب السّلف ، حيث في أواخر حياته تبيّن له خطأ ما كان عليه، فرجع إلى منهج الإمام أحمد ،وهو تقديم النقل على العقل ،فكتب كتاب

---

[1] أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي(ت478هـ/1347م):سير أعلام النبلاء ،تح شعيب الأرناؤوط،ج15،ط2،مؤسسة الرسالة بيروت1982 ،ص86.

[2] نفسه ،ص87.

[3] ابن كلاب: رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه ،هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة ، أخذ عنه الكلام داود الظاهري وكان يلقب كلابا، لأنه كان يجر الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته . وأصحابه هم الكلابية ، لحق بعضهم بأبي الحسن الأشعري ، وكان يرد على الجهمية. الذهبي: نفس المصدر،ج11،ص175.

[4] القاضي عياض بن موسى السبتي(ت544هـ):ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح محمد بن تاويت الطنجي،ج1،ط1،ددن،الرباط1965،ص25.

"الإبانة" ،وصرح فيه باتباعه لمذهب السلف ،حيث قال بعد أن أكّد تمسكه بالكتاب والسنة وبما روي عن الصحابة والتابعين قال: "...ونحن بذلك معتصمون ،وبما كان يقول أبو عبد الله – يقصد الإمام أحمد – قائلون ولمن خالف قوله مخالفون..."[1]. وبقيت إقامته ببغداد حتى وافته المنية سنة 324 هـ/936 م .**ومن أهم آثاره:**

1.كتَاب (العُمَد فِي الرُّؤْيَة)

2.كتاب (الفصول فِي الرَّدِّ عَلَى الملحدينَ) وَهُوَ اثْنَا عَشرَ كِتَاباً،

3.كتَاب (الموجز)

4.كتَاب (خَلْق الأَعمَال)

5.كتَاب (الصِّفَات) ، وَهُوَ كَبِيْر

6.كتَاب (الرُّؤْيَة بِالأَبصَار)

7. كتَاب (الخَاص وَالعَام) .

8.كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع

9.مقالات الاسلاميين واختلاف المصليين.

10.كتاب الابانة في أصول الديانة ، وغيرها من الكتب

[1] أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الاشعري: الإبانة عن أصول الديانة ،تح فوقيه حسين محمود،ط1،دار الانصار،القاهرة،1397هـ،ص20.

المطلب الثاني: التعريف بالمذهب ونشأته وأسباب انتشاره

أ)التعريف بالمذهب

لقد أخذنا التعريفين من علمين بارزين في المذهب الأشعري هما :تاج الدين السبكي وابن عساكر: يقول الإمام تاج الدّين السّبكي في كتابه الطبقات :"هو منهج سلكه أبو الحسن الأشعري لم يبدع فيه رأيا ولم ينشئ فيه مذهبا ،إنّما هو تقرير لمذهب السلف حيث أقام الحجج والبراهين العقلية... فصار المقتدي به في ذلك يسمى أشعريا.

ويقول ابن عساكر في (تبيين كذب المفترى):"هي فرقة متمسكة بالكتاب والسنة ،لا يسلكون في المعقولات مسالك المعطلة القدرية[1] ،لكنهم يجمعون في مسائل الأصول بين الأدلة السمعية وبراهين العقول، ويجتنبون إفراط المعتزلة ،ويتنكبون طرق المعطّلة ،ويفضحون بالبراهين الفرق المموهة ،وينكرون مذاهب الجهمية[2] ،ويطرحون تفريط المجسمة المشبهة[3] ،ويردّلون شبه الجبرية[4]... فمذهبهم أوسط المذاهب[5]

ومن هذان التّعريفان نستنتج أنّ الأشعرية هي فرقة كلامية كبرى، تنسب لأبي الحسن الأشعري المتوفى سنة (324هـ) ،ظهرت في القرن الرابع وما بعده ،بدأت أصولها بنزعات كلامية خفيفة، أخذها الأشعري عن ابن كلاب تدور على مسألة كلام الله تعالى وأفعاله الاختيارية مع القول بالكسب، ثم تطورت وتعمقت وتوسعت في المناهج الكلامية حتى أصبحت فرقة كلامية، عقلانية، فلسفية.

---

[1] القدرية :هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى ، الجرجاني :المصدر السابق ،ص287.

[2] الجهمية:هم أصحاب جهم بن صفوان ،قالوا:لا قدرة للعبد أصلا ،لا مؤثرة ،ولا كاسبة بل هو بمنزلة الجمادات ،والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما ،حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى، نفسه ،ص127.

[3] المشبهة :قوم شبهوا الله تعالى بالمخلوقات ومثلوه بالمحدثات،، علي بن محمد الجرجاني :المصدر السابق،ص338.

[4] الجبرية :هو من الجبر ،وهو إسناد فعل العبد إلى الله تعالى، والجبرية :اثنان متوسطة، تثبت للعبد كسبا في الفعل كالأشعرية ،وخالصة لا تثبت كالجهمية ،علي بن محمد الجرجاني :المصدر نفسه،ص127.

[5] ابن عساكر :المصدر السابق ،ص397.

ب) نشأة المذهب الأشعري

لتحديد نشأة الأشعرية لا ينفك الأمر من حالين:

-الحالة الأولى: النظر إلى حقيقة المذهب الذي تميز به الأشاعرة عن غيرهم، فهنا لا ترتبط النشأة بأبي الحسن الأشعري، وإنما ترتبط بابن كلاب ومدرسته الكلابية.

-الحالة الثانية: النظر إلى التسمية، فلا شك أن التسمية بالأشاعرة أو المذهب الأشعري مرتبطة بأبي الحسن الأشعري وتلامذته من بعده.

ويتضح الفرق بالنسبة لمن كان معاصراً للأشعري وتتلمذ على ابن كلاب أو تلامذته دون الأشعري وتلامذته, مع أنه يقول بقول ابن كلاب الذي هو قول الأشعري، فمثل هذا أشعري الاعتقاد لكنه لا ينسب إلا إلى ابن كلاب،... ولذلك لما تعرض ابن تيمية لنشأة المذهب الكلّابي في كلام الله ربطه بابن كلاب ومدرسته، فقال: "وكان... قد نبغ في أواخر عصر أبي عبدالله (أحمد ابن حنبل) من الكلابية ونحوهم؛ أتباع أبي محمد عبدالله بن سعيد ابن كلاب البصري، الذي صنف مصنفات رد فيها على الجهمية والمعتزلة وغيرهم، وهو من متكلمة الصفاتية، وطريقته يميل فيها إلى مذهب أهل الحديث والسنة، لكن فيها نوع من البدع، لكونه أثبت قيام الصفات بذات الله, ولم يثبت قيام الأمور الاختيارية بذاته، ولكن له في الرد على الجهمية – نفاة الصفات والعلو – من الدلائل والحجج وبسط القول ما بين به فضله في هذا الباب، وإفساده لمذاهب نفاة الصفات بأنواع من الأدلة والخطاب، وصار ما ذكره معونة ونصيراً وتخليصاً من شبههم لكثير من أولي الألباب، حتى صار قدوة وإماماً لمن جاء بعده من هذا الصنف الذين أثبتوا الصفات، وناقضوا نفاتها، وإن كانوا قد شاركوهم في بعض أصولهم الفاسدة، التي أوجبت فساد بعض ما قالوه من جهة المعقول ومخالفته لسنة الرسول."

"وسلك طريقة ابن كلاب – في الفرق بين الصفات اللازمة كالحياة، والصفات الاختيارية، وأن الربّ يقوم به الأول دون الثاني – كثير من المتأخرين، من أصحاب مالك، والشافعي، وأحمد،...

والقاضي أبو يعلى وأتباعه كابن عقيل وأبي الحسن بن الزاغوني، وهي طريقة أبي المعالي الجويني، وأبي الوليد الباجي، والقاضي أبي بكر بن العربي، وغيرهم، لكنهم افترقوا في القرآن، وفي بعض المسائل على قولين بعد اشتراكهم في الفرق الذي قرره ابن كلاب"[1].

فالأصل الذي قرره ابن كلاب قال به هؤلاء كلهم، وفيهم الأشاعرة وغيرهم، ومع مرور الزمن بدأت تنقرض النسبة إلى ابن كلاب لتحل محلها النسبة إلى الأشعري، والسؤال الذي يطرح هنا هو: إذا كان قول ابن كلاب هو الأصل فيما نجده في أقوال الأشعري، فلماذا لم ينسب إليه مذهب الأشاعرة وإنما نسب إلى أبي الحسن الأشعري؟.

ويمكن الجواب عن هذا السؤال من خلال الأمور التالية:

1) أن أبا الحسن الأشعري لم يكن صورة طبق الأصل لابن كلاب ومدرسته، وأتباعه له في أصل معين لا يعني أنه في جميع آرائه وأقواله كان متابعاً له، فمثلاً مع أن الأشعري قال بنفي حلول الحوادث بذات الله وهو ما يسمى بالصفات الاختيارية القائمة بالله، وهذا هو الأصل الذي قال به ابن كلاب ومدرسته، إلا أن الأشعري خالف ابن كلاب في جوانب من مسألة الكلام التي هي أهم المسائل، فإنه قال بأزلية الأمر والنهي، أما ابن كلاب فقال بحدوث ذلك، وعدم التطابق بين آراء الرجلين له دلالته في تحديد نسبة المذهب إلى أحدهما، خاصة وأن مسألة الكلام من أهم المسائل التي تميز المذهب الأشعري, لأن غيرها من المسائل قد شارك غير الأشاعرة القول فيها.

2) أن ابن كلاب جاء في وقت محنة أهل السنة من جانب المعتزلة، ولما زالت المحنة برز في مجتمع الإسلام كعلم من أعلام أهل السنة الإمام أحمد ابن حنبل، أما ابن كلاب ومن اتبعه فردودهم على المعتزلة والجهمية وإن كانت قوية إلا أنهم شابوها بشيء من البدع، فإذا أضيف إلى ذلك تحذير أئمة

[1] أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني(ت728هـ):مجموع الفتاوى، تح عبد الرحمن بن محمد بن قاسم،ج12،ط1،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية 1416هـ/1995م،ص368.

أهل السنة كالإمام أحمد وغيره من هؤلاء، فلا شك أن قدرة ابن كلاب في التأثير على الناس ستكون محصورة في نطاق معين لا تتعداه، وهذا ما حدث .[1]

أما أبو الحسن الأشعري فقد جاء بعد هدوء العاصفة، وركون الناس إلى أن مذهب أهل السنة هو الغالب المسيطر، لذلك لما قام الأشعري في الرد على المعتزلة كانت الأوضاع مهيّأة لاشتهاره وتبني مجموعة من الأعلام لمذهبه.

3) من الأمور المهمة قصة انتقال الأشعري عن الاعتزال إلى مذهب السلف, فمن المعلوم أنه قد بلغ مكانة ومنزلة في مذهب المعتزلة حتى صار رمزا من أعلامها، وفي ظل هذه الأوضاع التي تنبئ عن وجود نهضة اعتزالية ،إذا بالعالم الإسلامي يفاجأ بهذا القرار الخطير يتخذه أشهر أعلام المعتزلة معلناً رجوعه التام عن جميع أقوال المعتزلة، ويتبع ذلك بكشف ضلالاتهم، والرد عليهم بأسلوب قوي يوازي ما عند المعتزلة من قدرة وأساليب[2].

4) ومن أسباب نسبة المذهب إلى الأشعري كثرة مؤلفاته، ورسائله، فمؤلفاته قد تزيد على ثلاثمائة كتاب، وكما أن الأسئلة كانت تأتيه من الآفاق ويكتب في ذلك رسائل مختلفة، وسرعان ما تشتهر وتنتشر بين الناس، وهذا بخلاف ابن كلاب الذي كانت مؤلفاته قليلة، ولم تكن تلقى قبولاً بسبب موقف أئمة أهل السنة منه، بل وصل الأمر إلى أن يتستّر الكلابية بما عندهم, كما حدث لتلامذة ابن خزيمة الموافقين لابن كلاب، فإنهم لم يستطيعوا أن يظهروا ما عندهم فضلاً عن أن ينشروه أو يدرِّسوه.

5) وأخيرا يأتي دور تلاميذ الأشعري، ومن جاء بعدهم من تلامذتهم في ترسيخ نسبة المذهب إليه في دروسهم وكتبهم، إضافة إلى دورهم في نشره والدّفاع عنه، يقول القاضي عياض عن الأشعري: "فلما كثرت تأليفه، وانتفع بقوله، وظهر لأهل الحديث والفقه ذبه عن السنن والدّين، تعلق بكتبه أهل

[1] عرفان عبد المجيد :دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية،ط1،مطبعة الارشاد، بغداد 1967 ،ص147.

[2] ابن عساكر: المصدر السابق ،ص131.

السنة وأخذوا عنه، وتفقهوا في طريقه، وكثر طلبته وأتباعه لتعلم تلك الطرق في الذبّ عن السنة، وبسط الحجج والأدلة في نصر الملة، فسموا باسمه، وتلاهم أتباعهم وطلبتهم فعرفوا بذلك، وإنما كانوا يعرفون قبل ذلك بالمثبتة، سمة عرفتهم بها المعتزلة؛ إذ أثبتوا من السنة والشرع ما نفوه، فبهذه السمة أولا كان يصرف أئمة الذب عن السنة من أهل الحديث كالمحاسبي، وابن كلاب، وعبدالعزيز بن عبدالملك المكّي، والكراسي، إلى أن جاء أبو الحسن، وأشهر نفسه، فنسب طلبته والمتفقهة عليه في علمه ونسبه، كما نسب أصحاب الشافعي على نسبه وأصحاب مالك وأبي حنيفة وغيرهم من الأئمة إلى أسماء أئمتهم الذين درسوا كتبهم، وتفقهوا بطرقهم في الشريعة، – وهم لم يحدثوا فيها ما ليس منها – فكذلك أبو الحسن، فأهل السنة من أهل المشرق والمغرب بحججه يحتجون، وعلى منهاجه يذهبون، وقد أثنى عليه غير واحد منهم، وأثنوا على مذهبه وطريقه". [1]

[1] عبد الرحمن بن صالح المحمود :موقف بن تيمية من الأشاعرة،ج2،ط1،مكتبة الرشد، الرياض 1415هـ/1995م،ص493.

ج) أسباب انتشار المذهب الأشعري في العالم الاسلامي.

إن مذهب الأشاعرة انتشر في أنحاء العالم الإسلامي، حتى كاد يستقر في بعض الأزمنة أن مذهبهم هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويعود هذا الانتشار إلى أسباب عديدة نلخصها فيما يلي:

1) كثرة الحق الذي يقولونه، وظهور الآثار النبوية عندهم.

2) لبسهم ذلك بمقاييس عقلية، بعضها موروث عن الصابئة، وبعضها مما ابتدع في الإسلام، واستيلاء ما في ذلك من الشبهات عليهم، وظنهم أنه لم يمكن التمسك بالأثارة النبوية من أهل العقل والعلم إلا على هذا الوجه.

3) ضعف الأثارة النبوية الدافعة لهذه الشبهات، والموضحة لسبيل الهدى عندهم.

4) العجز والتفريط الواقع في المنتسبين إلى السنة والحديث، تارة يروون مالا يعلمون صحته، وتارة يكونون كالأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، ويعرضون عن بيان دلالة الكتاب والسنة على حقائق الأمور"[1].

5) أفول نجم المعتزلة، مع ظهور المذهب الأشعري كخصم لمذهبهم .

6) نشأة المذهب في حاضرة الخلافة العباسية "بغداد"، ولا شك أن أنظار الناس في شتى الأقطار تتجه في الغالب إلى دار الخلافة، ففيها الفقهاء, والمحدثون, والمقرئون، كما أنها من أهم البلدان التي يرحل إليها العلماء ليسمعوا الروايات أو يحدثوا فيها بمروياتهم، فلما نشأ المذهب الأشعري في بغداد وهي على هذه الحالة كثر المتلقون لهذا المذهب، الناقلون له إلى كل مكان، وهذا – مثلاً – بخلاف مذهب الماتريدي الذي نشأ في زمن الأشعري لكنه كان في بلاد ما وراء النهر فلم ينتشر كانتشار المذهب الأشعري.

7) تبني بعض الأمراء والوزراء لمذهب الأشاعرة واحتضان رجالهم له، ومن أبرز هؤلاء:

---

[1] ابن تيمية: المصدر السابق ،ج12،ص33.

أ) الوزير نظام الملك الذي تولى الوزارة لسلاطين السلاجقة، فتولى الوزارة لألب أرسلان وملكشاة مدة ثلاثين سنة، من سنة 455-485هـ والسلاجقة جاءوا على أثر البويهيين الشيعة الذين كانوا يوالون الدولة الفاطمية الباطنية، ولما استولى السلاجقة على بغداد وقضوا عليهم سنة 447هـ لم تمض سنوات قليلة حتى حدثت فتنة البساسيري – أحد القواد الأتراك الموالين لبني بويه – وكان ذلك سنة 450هـ، وكان من آثارها أن احتل بغداد وأعلن الخطبة للخليفة المستنصر بالله العلوي العبيدي، وأمر بأن يؤذن بحي على خير العمل، وعزل الخليفة العباسي القائم بأمر الله وكتب عليه عهداً أن لا حق له في الخلافة ولا لبني العباس, وأرسل العهد إلى الخليفة الفاطمي في القاهرة، وقد استمرت فتنة البساسيري سنة كاملة حتى قضى عليها السلاجقة وأعيد الخليفة العباسي. لذلك جاءت دولة السلاجقة لتنصر أهل السنة ضد أهل الرفض والبدعة، والوزير نظام الملك من أعظم وزرائهم أثراً وخطراً, وكانت له جهود عظيمة في حرب الحركات الباطنية والإسماعيلية, وتحدث عنها طويلاً في كتابه المشهور (سياست نامة) أو (سير الملوك)[1]، ومن أهم آثاره المدارس النظامية التي أنشئت في مدن عديدة منها: البصرة، وأصفهان، وبلخ، وهراة، ومرو، والموصل، وأهمها وأكبرها المدرسة النظامية في نيسابور وفي بغداد، وقد جعلهما مع أوقافهما وقفاً على أصحاب الشافعي أصلاً وفرعاً[2] ، وكان نظام الملك معظماً للصوفية وللقشيري والجويني وغيرهما من أعلام الأشعرية، وقد كان هؤلاء يلقون دروسهم في هذه المدارس على المذهب الشافعي، ويدرسون أصول العقيدة الأشعرية، فكان لذلك دور عظيم في نشرها.[3]

ب) المهدي بن تومرت، مهدي الموحدين، توفي سنة 524هـ، فقد دعا إلى المذهب الأشعري وتبناه وكان له دور عظيم في نشره بالمغرب والأندلس.

---

[1] الحسيني أبو الحسن علي بن ناصر: زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية،ط1،دار إقرأ للنشر ،بيروت 1985،ص59.

[2] محمد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام،ط2،دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية 1990،ص213.

[3] أبو العباس أحمد بن على العبيدي المقريزي(ت845هـ/1441م):المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار،ج2،ط2،دار الطباعة المصرية ،القاهرة 1985،ص358.

ج) نور الدين محمود بن زنكي، الذي جاهد الصليبيين، وقد ولد سنة 511هـ وتوفي سنة 569هـ ، وكان من آثاره أنه بنى أكبر دار للحديث في دمشق ووكل مشيختها إلى ابن عساكر صاحب (تبيين كذب المفتري)[1]، كذلك أنشأ في حلب سنة 544هـ المدرسة النفرية النورية، وكانت للشافعية، وتولى التدريس فيها قطب الدين مسعود بن محمد النيسابوري ،وكان أحد أساتذة المدرسة النظامية في نيسابور، وكان أحد أعلام أهل الكلام على المذهب الأشعري[2]، وفي عهد نور الدين بدأت صلة قطب الدين مسعود بصلاح الدين الأيوبي، وتوثقت فيما بعد.

ولا شك أن لهذه المدارس، والمدارس النظامية، متمثلة بأولئك العلماء الذين درسوا فيها أثراً عظيماً في مقاومة التيار الباطني الإسماعيلي، ومعلوم أن من أعظم آثار نور الدّين وصلاح الدّين القضاء على الدولة الفاطمية الباطنية في مصر، حيث حلت محلها دولة سنية حكمها صلاح الدين الأيوبي نائباً لنور الدّين ثم مستقلاً بعد وفاته.

د)صلاح الدين الأيوبي: يقول المقريزي: "وأما العقائد فإن السلطان صلاح الدّين حمل الكافة على عقيدة أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري تلميذ أبي علي الجبائي، وشرط ذلك في أوقافه التي بديار مصر كالمدرسة الناصرية بجوار قبر الإمام الشافعي من القرافة، والمدرسة الناصرية التي عرفت بالشريفية"،[3] ثم يقول عن المذهب الأشعري: "فلما ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدّين يوسف بن أيوب ديار مصر كان هو وقاضيه صدر الدّين عبدالملك بن عيسى بن درباس الماراني على هذا المذهب قد نشآ عليه منذ كانا في خدمة السلطان الملك العادل نور الدّين محمود بن زنكي بدمشق، وحفظ صلاح الدّين في صباه عقيدة ألفها له قطب الدّين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري، وصار يحفظها صغار أولاده، فلذلك عقدوا الخناصر وشدّوا البنان على مذهب الأشعري، وحملوا في أيام دولتهم كافة الناس على التزامه، فتمادى الحال على ذلك جميع أيام الملوك

---

[1] أبو نصر عبد الوهاب بن علي السبكي(ت771هـ/1369م) طبقات الشافعي الكبرى ،تح عبد الفتاح محمود الحلو ومحمود محمد الطنّاحي ،ج7،ط1،دار إحياء الكتب العربية ، ص297.

[2] الذهبي:المصدرالسابق،ج22،ص120

[3] السبكي: المصدر نفسه،ج8،ص218.

من بني أيوب، ثم في أيام مواليهم الملوك من الأتراك"[1] ، وإذا كان قطب الدين مسعود قد ألف لصلاح الدين عقيدة ، فإن الفخر الرازي قد ألف كتابه المشهور (أساس التقديس) للملك العادل محمد بن أيوب بن شادي أخو صلاح الدين، المتوفى سنة 615هـ، أمّا ابنه الأشرف بن العادل فقد مال إلى الحنابلة وأهل السنة في العقيدة، وجرت بينه وبين العز بن عبدالسلام – وهو أشعري – مناقشة ومحنة طويلة.[2]

ومن بين أهم أسباب انتشار المذهب الأشعري أنّ جمهرة من العلماء اعتمدوه ونصروه، وخاصة فقهاء الشافعية, والمالكية المتأخرين، ومن بين أشهر الأعلام الذين تبنوه: الباقلاني، وابن فورك، والبيهقي، والسفاريني، والشيرازي، والجويني، والقشيري، والبغدادي، والغزالي، والرازي، والآمدي، والعزّ بن عبدالسلام، وبدر الدّين بن جماعة، والسّبكي، وغيرهم كثير، ولم يكن هؤلاء أتباعا فقط، بل كانوا مؤلفين ودعاة إلى هذا المذهب، ولذلك ألفوا الكتب العديدة، وتخرّج على أيديهم عدد كبير من التلاميذ.

كما انتشر في أنحاء عديدة بواسطة هؤلاء، ففي الحجاز انتقل إليه المذهب الأشعري بواسطة أبي ذر الهروي ، كما انتقل عن طريقه إلى المغرب عن طريق المغاربة الذين كانوا يأتون إلى الحجّ، وكان ممّن له أثر في نشره في المغرب بين المالكية أبو بكر الأبهري، والباقلاني وتلامذته، والباجي، وابن العربي وغيرهم، كما دافع كل من ابن أبي زيد القيرواني، وأبي الحسن القابس عن الأشعري

ويذكر المقريزي أنه قد انتشر في العراق نحو سنة 380هـ، وانتقل منه إلى الشام ، وممن انتشر على يديه في الشام أبو الحسن عبدالعزيز بن محمد الطبري المعروف بالدّمل[3]

---

[1] ابن عساكر: المصدر السابق، ص120.

[2] ابن صالح المحمود: المرجع السابق ،ج2 ،ص497.

[3] المقريزي :المصدر السابق،ج2،ص358.

هذه أهم أسباب انتشار المذهب الأشعري، وهي تدل على مدى تغلغل هذا المذهب بين الناس، وإن كانت الجمهرة الغالبة للمسلمين تؤمن بهذا الدّين وعقيدته بإجمال, وتعظّم السلف ومنهجهم، لأنّها لا تعرف المداخل الكلامية والقضايا العقلية التي يعتمدها أهل الكلام.

المطلب الثالث: أهم مبادئ الأشاعرة وأهم منظّريها

أ).أهم مبادئ الأشاعرة:

1 . الاعتماد على العقل:

مصدر التلقي عند الأشاعرة هو العقل وقد صرح أئمة المذهب بذلك كالجويني والرازي والبغدادي والغزالي والآمدي والسنوسي، يقول السنوسي: "وأما من زعم أنّ الطريق بدأ إلى معرفة الحق الكتاب والسنة ويحرم ما سواهما فالرد عليه أنّ حجيتهما لا تعرف إلا بالنظر العقلي، وأيضا فقد وقعت فيهما ظواهر – يقصد أي في ظاهر الكتاب والسنة – من اعتقدها على ظاهرها كفر عند جماعة وابتدع" ويقول أيضا: "أصول الكفر ستة.. قال في خامسها: التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية والقواطع الشرعية".[1]

وقد جاء الأشعريُّ بمنهج بين المنهجين، وقد أعلن أنّ المصدر الرئيس للعقائد هو الكتاب والسنّة، وفي الوقت نفسه خالف أهل الحديث بذكاء خاصّ عن طريق استغلال البراهين العقليّة والكلاميّة على ما جاء في الكتاب والسنّة.

كان أهل الحديث يُحرّمون الخوض في الكلام، وإقامة الدلائل العقليّة على العقائد الإسلاميّة، ويكتفون بظواهر النصوص والأحاديث، ولكنّ الأشعريّ بعد براءته من الاعتزال وجنوحه إلى منهج أهل الحديث، كتب رسالة خاصّة في استحسان الخوض في الكلام.

2 . أفعال العباد مخلوقة لله عزَّ وجلَّ (نظريّة الكسب):

وهو من المسائل التي اشتهرت عند الأشعري وأخذ بها الأشعرية من بعده ،وقد جاء قوله بالكسب لاثبات قدرة الله الشاملة لكل شيء ،يقول الأشعري في المقالات :"...واختلف الناس في

---

[1]أبو عبد الله عبد الفتاح عبد الله بركة السنوسي :شرح السنوسية الكبرى(عمدة أهل التوفيق والتسديد للإمام)،ط1 دار القلم، بيروت (1406هـ / 1982م)،ص81.

معنى القول :إن الله خالق ،فقال قائلون :معنى أن الخالق خالق أن الفعل وقع منه بقدرة قديمة فإنه لا يفعل بقدرة قديمة إلا خالق، ومعنى الكسب أن يكون الفعل بقدرة محدثة، فكل من وقع منه الفعل بقدرة محدثة فهو مكتسب وهذا قول أهل الحق...والحق عندي أن معنى الاكتساب هو أن يقع الشيء بقدرة محدثة، فيكون كسبا لمن وقع بقدرته..."[1].

وحاصله: أنّ كلّ ما في الكون من جواهر وأعراض حتّى الإنسان وفعله، مراد لله سبحانه، تعلّقت إرادته بوجوده، وليس شيء في صفحة الوجود خارجاً عن سلطان إرادته، ولا يقع شيء من صغير وكبير إلّا بإرادة منه سبحانه، يقول الشهرستاني: "... الفعل الحاصل إذا أراده العبد وتجرد له ويسمى هذا الفعل كسباً فيكون خلقاً من الله تعالى إبداعاً، وإحداثاً وكسباً من العبد حصولاً تحت قدرته".[2]

وقد أراد البغدادي أن يوضّح هذه النظرية لأحد أصحابه فأتى بمثال لكي يشبه اقتران قدرة الله بقدرة العبد مع نسبة الكسب إلى العبد ،فقال: لو أنّ هناك حجز كبير، وقد عجز عن حمله رجل، وهناك رجل آخر يستطيع حمل الحجر لوحده، فإذا اجتمعا كليهما على حمل الحجر، كان حصول الحمل بقواهما، ولا خرج أضعفهما بذلك عن كونه حاملاً.[3]

ونستنتج من هذا كله أن الأشعري خرج بنظريّة جديدة للفرار من مشكلة الثواب والعقاب على الفعل المجبر عليه الإنسان، وهي نظرية الكسب فقال: الله هو الخالق، والعبد هو الكاسب، وملاك الطاعة والعصيان، والثواب والعقاب هو "الكسب" دون الخلق، فكلّ فعل صادر عن كلّ إنسان مريد، يشتمل على جهتين "جهة الخلق" و"جهة الكسب" فالخلق والإيجاد منه سبحانه، والكسب والاكتساب من الإنسان.

---

[1] أبو الحسن علي بن اسماعيل بن ابي بشر الاشعري،ت330هـ/942م):مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،ط1،مكتبة النهضة العربية،القاهرة1950م ،ص542.

[2] الشهرستاني: المصدر السابق ،ج1،ص98

[3] أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي(ت429هـ/1037م)، أصول الدين،ط3،دار الكتب العلمية،بيروت1401هـ/1981م،ص248.

3. رؤية الله بالأبصار في الآخرة:

ذهب الأشعريّ إلى أنّ الله عزَّ وجلَّ موجود، وكلّ موجود يصحُّ أنْ يُرى، فقال في كتابه "الإبانة": "وندين بأنَّ الله تعالى يُرى في الآخرة بالأبصار كما يُرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون"[1]، واستدل لإثبات ذلك ببعض الآيات نحو قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[2]. والأشاعرة ترى أنّ الأصل حمل النصوص على الحقيقة. فلا بُدَّ من حمل هذه الآيات على معناها الحقيقيّ.

4. إنكار الحسن والقبح العقليّين:

يرى الأشاعرة أنّ الحسَنَ هو ما يفعله الله عزَّ وجلَّ والقبيح هو ما لا يفعله. أي أنّ الله له أنْ يُعذِّب الأطفال في الآخرة ويكون في فعله ذلك عادلاً. كما أنّ له أنْ يُدخل المؤمنين النار ويُدخل الكافرين الجنّة لأنّه المالك لكلِّ شيء ولا يوصف أيُّ فعل بالقبح حتّى يتركه[3].

ويلاحظ عليه: أنّه إذا رأى الأشعريّ طفله يُعذّب في الآخرة بألوان العذاب، دون ذنبٍ اقترفه أو جريرة أقدم عليها، أو عُذِّب بنفسه من الباري سبحانه وهو مؤمنٌ بالله غير مستحقّ للعقاب، هل يجد ذلك عين العدل، أم أنّه في قرارة نفسه يجده أمراً منكراً؟

وثانياً: هم افترضوا هذه النظريّة لاعتقادهم أنّ حكم العقل بالحسن والقبح حكم على الله وسطوةً عليه سبحانه، وبالتالي أنكروا دور العقل في هذا الموضع، و أهل الحديث يرون أنّ الله سبحانه وضع وجعل قدرة التمييز بين الحسن والقبح في العقل غاية الأمر، وأنّ العقل كاشف عن الحُسن والقبح وليس فارضاً له على الله عزَّ وجلَّ.

---

[1] جعفر السبحاني،المذاهب الاسلامية،ط2،دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت2005، ص 56.

[2] القرآن الكريم :سورة القيامة: 27.

[3] ابو الحسن الاشعري :اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ،تح:حمودة غرابة،ط1،مطبعة مصر، القاهرة 1955،ص71.

فالله قادر على فعل القبح ولكنّه لا يفعله لأنّه حكيم والحكيم لا يصدر عنه إلّا كلّ فعل حسن[1].

5.التكليف بما لا يطاق:

تقول الأشاعرة بأنه يجوز أنّ الله يكلف عباده ما لا يطيقونه؛ لأنّ مشيئته مطلقة ولا يقبح منه شيء البتة، يقول الشهرستاني في الملل والنّحل وهو يحكي آراء الأشعري: "وتكليف ما لا يطاق جائز على مذهبه"[2]،غير أن الأشاعرة يفرقون بين نوعين من التكليف:

الأول: ما يعجز عنه العبد لعدم القدرة عليه أصلاً كتكليف الأعمى أن يبصر، قالوا وهذا ما لا يكلف الله به.

الثاني: ما لا يستطيعه العبد لأنه صرف الجهد عنه وهذا جائز عندهم، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: {رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ} [3] قالوا: لو لم يكن التكليف بما لا يطاق جائزاً لما دعوا الله أن لا يحملهم إياه.[4]

6.الإيمان :

صرح الأشعري في الإبانة : " أنّ الإيمان قول وعمل يزيد وينقص "[5]،وفصل ذلك في الرسالة فقال:"...وأجمعوا على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وليس نقصانه عندنا شكا فيما أمرنا بالتصديق به ولا جهلا به ،لأن ذلك كفر،وإنما هو نقصان في مرتبة العلم وزيادة البيان ،كما يختلف

---

[1] جعفر السبحاني :المرجع السابق، ص 53.

[2] الشهرستاني :المصدر السابق،ج1،ص97.

[3] سورة البقرة :الآية 286

[4] ابو الحسن الأشعري :المصدر السابق،ص59.

[5] أبو الحسن علي بن اسماعيل بن ابي بشر الاشعري(ت324هـ):الإبانة عن أصول الديانة،تح فوقيه حسين محمود،ط1،دار الأنصار،القاهرة 1397هـ،ص27.

وزن طاعتنا وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم ،وإن كنا مؤدين للواجب علينا..."[1]،لكنه من قبل في كتابه "اللّمع" فسره بالتصديق واحتج بإجماع أهل اللغة.

كما نسب إليه متأخرو الأشعرية وغيرهم أنه يقول بأنّ الايمان هو مجرد المعرفة[2].

7.القرآن:

أجمع المسلمون تبعاً للكتاب والسنّة على كونه سبحانه مُتكلِّماً، وقد قيل بأنّ البحث في كلامه سبحانه أوّل مسألة طُرحت على بساط المناقشات في تاريخ علم الكلام، وإنْ لم يكن ذلك أمراً قطعيّاً بل ثبت خلافه، وقد شغلت تلك المسألة بال العلماء في عصر الخلفاء، وحدثت بسببه مشاجرات، بل مصادمات دامية ذكرها التاريخ وسجّل تفاصيلها، وخاصّة في قضيّة ما يُسمّى بـ "محنة خلق القرآن" وكان الخلفاء هم الّذين يُروِّجون البحث عن هذه المسألة ونظائرها حتّى ينصرف المفكّرون عن نقد أفعالهم وانحرافاتهم.

ثمّ إنّ الخلاف في كلامه سبحانه واقع في موضعين:

الأوّل : ما هي حقيقة كلامه سبحانه؟ وهل هو من صفات ذاته كالعلم والقدرة والحياة، أو من صفات فعله كالإحياء والإماتة والخلق والرزق إلى غير ذلك من الصفات الفعليّة؟

الثاني: هل هو قديم أم حادث، مخلوق أم غير مخلوق؟ والاختلاف في هذا المقام من نتائج الاختلاف في الموضع الأوّل.

فذهب أبو الحسن الأشعريّ إلى كونه من صفات الذات، لا بالمعنى الّذي تتبنّاه الحنابلة(صوت وحرف)، بل بمعنى آخر، وهو القول بالكلام النفسيّ القائم بذات المتكلّم على حد زعمه شيء واحد في ذاته ،لكن إذا جاء التعبير عنه بالعبرانية فهو توراة، وإن جاء التعبير عنه بالسريانية فهو إنجيل، وإن جاء بالعربية فهو قرآن، فهذه الكتب عندهم كلها مخلوقة ووصفها بأنها كلام الله مجاز لأنها تعبير

[1] أبو الحسن الأشعري: رسالة إلى أهل الثغر، تح عبد الله شاكر محمد الجنيدي،ط2،مكتبة العلوم والحكم ، المملكة العربية السعودية 1422هـ/2002م،ص93.

[2] عبد الكريم الشهرستاني: نهاية الاقدام في علم الكلام، تح ألفرد جيوم،ط1،مكتبة الثقافة الدينية: ص 472.

عنه. ثم اختلف الأشاعرة فيما بينهم: فقال بعضهم إن الله خلق القرآن أولاً في اللوح المحفوظ، ثم أنزله في صحائف إلى سماء الدنيا فكان جبريل يقرأ هذا الكلام المخلوق ويبلغه لمحمد – صلى الله عليه وسلم–."[1] كل هذه الأقوال نسبها أعلام الأشاعرة إلى الأشعري منهم ابن فروك والجويني والشهرستاني وغيرهم.

8.الصفات الخبرية والفعلية:

متقدمي الأشاعرة كالأشعري والباقلاني على مذهب أهل السنة في إثبات الصفات، أما متأخريهم كالرازي والغزالي ومن بعدهم فقد اقتصروا على إثبات سبع صفات وأوّلوا الباقي وسموها صفات الذات وهي: "العلم، القدرة، الإرادة، السمع، البصر، الكلام، والحياة" وأما الصفات الأخرى كالاستواء والعلو والنزول وغيرها فكلها أولوها ووافقوا المعتزلة فيها، فالصفات السبع التي أثبتوها من قبل ، لم يثبتوها على طريقة أهل الحديث من خلال نصوص الكتاب والسنة، ولكن أثبتوها عن طريق العقل، فقالوا: وجدنا أن الأحداث التي تحدث من وقت لآخر، أفعال حديثة تتجدد، وهذا يدل على القدرة فبذلك أثبتوا صفة القدرة فقالوا: نثبت صفة القدرة بالأفعال التي تتجدد من إحياء وإماتة ورفع وخفض وغير ذلك؛ لأن من يفعل مثل هذه الأفعال لا بد أن يكون قديراً، فأثبتوا صفة القدرة. قالوا ثم التخصيص: بمعنى جعل هذا عالماً وذاك جاهلاً وهذا غنياً وذاك فقيراً، هذه التخصيصات تدل على الإرادة؛ لأنه لا يخصص هذا التخصيص إلا من له إرادة، فأثبتوا صفة الإرادة، ثم الإتقان والإحكام فهذا الإحكام البديع وهذا الإتقان في المخلوقات يدل على العلم، فأثبتوا صفة العلم،ثم قالوا: الذي يتصف بالقدرة والإرادة والعلم لا بد أن يكون حياً، فأثبتوا صفة الحياة، ثم قالوا: الحي لا بد أن يكون سميعاً بصيراً متكلماً فأثبتوا صفة السمع والبصر والكلام. فأثبتوا هذه الصفات السبع عن طريق العقل[2].

---

[1] الشهرستاني :الملل والنحل:المصدر السابق ،ج1،ص96

[2]ابن تيمية :درء تعارض العقل والنقل ، تح عبد اللطيف عبد الرحمن ،ج2، دار الكتب العلمية ، بيروت 1417هـ /1997م ،ص17.

ب)تطور المذهب وأهم منّظريه:

لقد تعدّدت واختلفت أقوال الأشاعرة في مسائل عديدة من مسائل العقيدة ،وكل علم من أعلامهم حوَت مؤلفاته ورسائله أراء توصل إليها باجتهاده أو تقليدا لأحد أعلام عصره ،فأصبح لكل واحد منهم منهجا مستقلا ،والمتتبع للتطور الحاصل داخل المذهب يجد أن أبرز مظاهره لا تخرج عن ثلاثة أشياء:

- القرب من أهل الكلام والاعتزال.
- الدخول في التصوف وارتباط المذهب الأشعري به.
- جعل الفلسفة جزءا من المذهب.

وسنقتصر فيما يلي على عرض ترجمة موجزة لأهم أعلام الأشاعرة مع ذكر وبيان بعض جوانب التطور عندهم:

-أبو الحسن الطبري: ت 380هـ.

كان أحد تلاميذه الأربعة الذين اختصوا به واسمه علي بن محمد بن مهدي أبو الحسن الطبري[1]، بدأ أبو الحسن في استخدام المنهج العقلي في تأويل النصوص ولم يفرق أبو الحسن بين الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة والأحاديث الثابتة. بالنسبة للصفات الخبرية فهو يثبتها مع نفي أي دلالة فيها على التجسيم أو التبعيض على حد زعمه، مثاله: فهو حين تكلم على صفة اليدين لله وذكر الوجوه الواردة في معنى اليد، كالقوة والنعمة والجارحة والنفس والذات فأبطل هذه الأقوال كلها، وقال بإثبات اليدين مع التفويض الكامل لها ولذلك لم يثبت القبض ولا الطّي ،حاول أبي الحسن الطبري أن يسير على منهج وسط بين المعتزلة وأهل الحديث[2].

[1] ابن عساكر: المصدر السابق، ص195.

[2] السبكي: المصدر السابق،ج3،ص466.

-الباقلاني: ت 403هـ.

يعتبر الباقلاني المؤسس الثاني للمذهب الأشعري والباقلاني[1] تلميذ من تلامذة الأشعري فهو قريب العهد به وعلى الرغم من أن تلامذة الأشعري كانوا أقوياء وذوي تأثير واسع إلا أن أحداً منهم لم يبلغ ما وصل إليه الباقلاني. ويكاد يجمع الباحثون على أن للباقلاني دور كبير في تطوير المذهب الأشعري ويمكن تلخيص التطورات في النقاط التالية:

1 -الميل في المناقشات إلى العقل وضعف الاعتماد على النقل وإن كان الأمر لم يصل إلى الإهمال.

2 -وضع المقدمات العقلية لمباحث العقيدة وعلم الكلام مثل مباحث الجوهر والعرض وأقسام العلوم والاستدلال والكلام عن الموجودات وأنواعها.

3 -الميل إلى بعض أقوال المعتزلة وخاصة في بعض الصفات وإذا كان الأشعري أخذ يبعد عن الاعتزال في آخر كتبه، فالباقلاني أعاد المنهج الأشعري ليقرب من أهل الكلام.

4 -تقعيد بعض القواعد الكلامية التي أصبحت فيما بعد من أصول الأشاعرة مثل القول بالجوهر الفرد وأن العرض لا يبقى زمانين وهكذا.

5- التركيز على مبدأ إنكار العِلّية والسببية التي جعلها الله في الأشياء.[2]

-ابن فورك :ت 406هـ.

وهو محمد بن الحسن بن فورك أبو بكر الأنصاري الأصبهاني أقام بالعراق ودرس المذهب الأشعري على يد أبي الحسن الباهلي أحد تلاميذ الأشعري [3]..

---

[1] الذهبي : المصدر السابق، ج17،ص190.

[2] أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت403هـ) :كتاب التمهيد ،تح عماد الدين حيدر ،ط1،طبعة مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت 1987،ص.ص 6،21.

[3] أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت874هـ):النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح محمد حسين شمس الدين،ج4،ط1،دار الكتب، مصر 1403هـ/1992م،ص240.

يعتبر ابن فورك من معاصري الباقلاني لكن شيوخ الباقلاني في مسائل الكلام أكثر، وكان عناية ابن فورك بالحديث أكثر ويكفي أن أحد تلامذته هو الإمام البيهقي. وقد وافق ابن فورك الباقلاني في مسائل كثيرة لا نريدها لكن الذي يهمنا هو ما تميزه به ابن فورك الذي يعتبر تطوير في المذهب الأشعري فمنها:

1 –العناية بالحديث والاهتمام به مع البقاء على منهج وطريقة أهل الكلام وتأويلاتهم، وبذلك خفّ الحاجز الذي كان يفصل بين أهل السنة من أهل الحديث الذين يثبتون ما دلّت عليه النصوص وأهل الكلام الذين كانوا بعيدين عن الاهتمام بعلم الحديث رواية ودراية ،وهذا المنهج الذي سلكه ابن فورك هو ما نجده أوضح وأقوى عند البيهقي.

2 –الغلو في التّأويل وكأنّه صار هو الأصل والإثبات هو القليل.

3 –تأويل صفة الاستواء والعلو وهذا تطور خطير وكبير في المذهب الأشعري ما قال به أحد من قبله، وإن كان قد أثر عنه المنع من تأويلها[1].

–البغدادي: ت 429هـ.

هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله أبو منصور البغدادي التميمي[2] جوانب التطوير للمذهب عنده:

1 –مخالفته صراحة لبعض أقوال شيخ الأشاعرة أبي الحسن الأشعري فهو يعرض الأقوال ومنها قول الأشعري ثم يرجّح قولا آخر قال به غيره كابن كلاب أو غيره ومن ذلك مسألة إيمان المقلد ومعنى الإله.

[1] أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني (ت406هـ): مشكل الحديث وبيانه ،تح موسى محمد علي ،ط2،عالم الكتب ،بيروت1985 ، ص ص ،17 ،18.

[2] ابن عساكر : المصدر السابق، ص203.

2 –تبنى بعض آراء المعتزلة كدليل حدوث الأجسام بقوة حتى صار فيما بعد من مسلمات المذهب الأشعري[1].

3 –مسألة الاستواء سبق معنا بأنّ الباقلاني ومن قبله قالوا بإثباته بلا تأويل ثمّ جاء ابن فورك ومال فيه إلى التأويل، فجاء البغدادي فرد أولاً على قول المعتزلة بالتأويل بالاستيلاء ثم عرض أقوال من سبقه من الأشاعرة ،فمنهم من قال كذا ومنهم من قال كذا ثم قال: والصحيح عندنا تأويل العرش على معنى الملك، فأتى بشيء لم يُسبق إليه[2].

أمّا مسألة العلّو فهو من نفاته[3].

4 –البغدادي من أوائل الأشاعرة الذين أولوا الصفات الخبرية تماماً وصراحة كالوجه واليدين والعين، فابن فورك ومن قبله أثبتوا لله الصفات الخبرية ،وإن كان ابن فورك أوّل بعضها كالقدم والأصبع واليمين ،فجاء البغدادي وقال بتأويل كل الصفات الخبرية.

5– من المعالم البارزة في منهج البغدادي مما كان له أثر فيمن أتى بعده صياغته لمذهب الأشاعرة على أنه مذهب أهل السنة والجماعة حتى كاد يستقر في أذهان كثير ممن ينتسب إلى الفقه والعلم بأن أقوال الأشاعرة يمثل المذهب الصحيح[4].

---

[1] أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي(ت799هـ):البرهان في علوم القرآن ،تح محمد أبو الفضل ابراهيم، ج1،ط1،دار إحياء الكتب العربية ،لبنان 1376هـ/1957م ،ص88.

[2] اليغدادي :المصدر السابق،ص113،112.

[3] أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ):العلو للعلي الغفار في ايضاح صحيح الأخبار وسقيمها،تح أبو محمد أشرف بن عبد القصود،ط1،مكتبة أضواء السلف ،الرياض 1416هـ/1995م،ص188.

[4] عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري(ت478هـ):كتاب الارشاد،تح محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد،ط1،مطبعة السعادة مصر1369هـ/1950م ،ص112.

-البيهقي: ت458هـ.

هو أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي البيهقي، أبو بكر الإمام الحافظ العلامة مجدد المذهب الشافعي في الفقه وأحد أعلام المحدثين[1]

تطويره للمذهب:

1 -كان له دور في ربط المذهب الأشعري بالفقه الشافعي.

2 -دافع البيهقي عن علم الكلام ولما ذكر أقوال الشافعي المشهورة في ذم الكلام وأهله ،علّق البيهقي على ذلك مبرراً ما نقله العلماء من الأخذ بالعقل أو علم الكلام. ولمّا ذمّ الشافعي الصوفية، دافع البيهقي عنهم ،بل ونقل إباحة أنواع السماع[2].

3 -قام البيهقي بدور عظيم في الفتنة التي وقعت على الأشاعرة المعروفة بفتنة القشيري والتي وقعت سنة 445هـ ،واستمرت عدّة سنوات حيث أُعلن في نيسابور لَعن أبي الحسن الأشعري، وصارت فتنة عظيمة حتى اضطر كثير من الأشاعرة إلى الهجرة من خراسان، وكان منهم القشيري، والجويني ،وغيرهما، فكتب القشيري رسالة سماها: شكاية أهل السنة لما نالهم من المحنة. وقال فيها: أيلعن إمام الدّين ومحيي السنة؟ ثم رفع إلى السّلطان بعض مقالات الأشعري لكي يسكت أصحاب الفتنة .وكان زعيمها رجل يدعى الوزير الكندري، فلم يقبل السلطان ذلك وكان أسمه "طغر لبك" إنما أوعز بلعن الأشعري وقال الأشعري عندي مبتدع يزيد على المعتزلة، فقال القشيري يا معشر المسلمين الغياث الغياث[3].

---

[1] ياقوت الحموي: المصدر السابق ،ج2 ، ص370.

[2] السبكي : المصدر السابق،ج4،ص333.

[3] جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح محمد عبد القادر عطا، و مصطفى عبد القادر عطا،ج8،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1412 هـ / 1992 م،ص157.

فقيل: لو أن القشيري لم يعمل هذه الرسالة لكان أستر للحال، ولم تزول الفتنة إلاّ عام 456هـ، حيث تولّى الحكم ألب أرسلان وإستوزر نظام الملك الذي قام بنصره الأشاعرة ،وبنى لهم عدة مدارس، فكان البيهقي من القلائل الذين دافعوا عن الأشعري والأشاعرة في تلك الفتنة، وصار يكتب الرسائل في مدح الأشعري وأسرته ويرسل بها ،ويجعله أحد المجددين، فكانت له جهود عظيمة في خدمة ودعم المذهب الأشعري ،وإعادة الثقة بهذا المذهب عند أتباعه ومعتنقيه[1].

-القشيري: ت 465هـ.

وهو عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري النيسابوري[2].

تطويره للمذهب:

1 -دفاعه عن الأشاعرة وقت المحنة وقد فاق دفاعه أغلب أئمة الأشاعرة وكتب رسالته المشهورة، وقد طبعت عدة مرات يبث فيها أشجانه ويدافع عن الأشعري وعن الأشاعرة[3].

2-إدخال التصوف في المذهب الأشعري وربطه به وذلك حين ألف رسالته المشهورة في التصوف وأحواله وتراجم رجاله المشهورين فذكر في أحد فصول الرسالة وفي ثناياها أن عقيدة أعلام التصوف هي عقيدة الأشاعرة.

ولم يكن تصوف القشيري تصوفاً سنياً كما يظن البعض، بل كان يؤمن بوجود القطب والأوتاد والإبدال والغوث ودعوته إلى آداب المريد مع الشيخ وإباحته للسماع وزادت صلته بالصوفية حتى صار شيخاً فيها[4].

---

[1] ابن عساكر: المصدر السابق ، ص151.

[2] الجوزي: المصدر السابق،ج8،ص280.

[3] أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر – ابن النجار: تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد) وذيله والمستفاد، تح بشار عواد معروف ،ج11،ط1، مطبعة السعادة ،مصر1349هـ،ص83.

[4] عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ): الرسالة القشيرية، تح عبد الحليم محمودو محمود بن الشريف،ج1،ط1، دار المعارف، القاهرة، د ت ن،ص50.

ولا شك أن القشيري يمثل مدرسة كان لها الأثر الكبير في عقائد ومنهج الأشاعرة.

-الجويني: ت 478هـ.

وهو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري أبو المعالي إمام الحرمين اشتهر الجويني خاصة بعد فتنة الأشاعرة والتي بسببها جاور في الحرمين وسمي بإمام الحرمين[1].

طور المذهب من خلال الآتي:

1 -مال إلى كثير من آراء المعتزلة حيث أنه تأثر بهم أكثر ممن سبقه من الأشاعرة.

في الاستواء قال بالاستيلاء، والتأويل الصريح لصفة الوجه واليدين والعين، مسألة التحسين والتقبيح قال بما قالت به المعتزلة[2].

2 -دفاعه عن المعتزلة فيما نقله من مذاهبهم[3].

3 -صلة خاصة بكتب أبي هاشم الجبّائي المنظّر لإحدى فرق المعتزلة البهشمية ودفاعه عن أبي هاشم.

4 -صلته بالفلسفة وعلوم الأوائل، فاطلع على كتبهم واستفاد منها في تأصيل المذهب الأشعري في بحوثه الكلامية ولذلك جاء تفكيره متسماً بنزعة فلسفية عميقة[4].

5 -يعتبر الجويني من أئمة الشافعية وقد كتب كتاباً يفضل فيه مذهب الشافعي ويرى أنه الأحق بالإتباع، ومن أبرز الأمور الملفتة والبارزة في منهجه إدخاله مسائل المنطق والكلام في أصول الفقه وقد تأثر بمنهجه هذا من جاء بعده من الأشاعرة مثل الغزالي والرازي والآمدى وغيرهم

---

[1] الذهبي: المصدر السابق ،ج18،ص468.

[2] الجويني:المصدر السابق،ص40.

[3] الزركشي:المصدر السابق،ج1،ص89.

[4] الجويني: الشامل في اصول الدين،تح علي سامي النشار و فيصل بدير عون وسهير محمد مختار ،دط، منشأة المعارف ،الإسكندرية 1969م.ص76.

.

يتبين مما سبق كيف أنه خطا بالمذهب الأشعري نحو الاعتزال والتأصيل الكلامي[1].

-الغزالي: ت 505هـ.

وهو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي [2].

الغزالي لوحده يحتاج إلى دراسة مستقلة لما أحدثه ودخوله في الفلسفة والتصوف بعمق، وقد كُتبت دراسات وبحوث مستقلة وعديدة عن الغزالي، لكن قبل عرض وتلخيص تطويره في المذهب بشكل نقاط سريعة ينبغي أن نذكر بأن الغزالي:

-أتى بقانون لم يُسبق إليه إلاّ ما عند الفلاسفة، ثم صار فيما بعد أحد ركائز العقيدة الأشعرية ولم يقل به من تقدمه وهو: التعارض بين العقل والنقل، وهذه قضية خطيرة لم يسبق إليها ،مما جعل شيخ الإسلام يفرده بمؤلف كبير مستقل في إحدى عشر مجلد للرد على هذه الفكرة – درء تعارض العقل والنقل.-

-حول الغزالي المعركة بين الأشاعرة والمعتزلة إلى معركة بين الأشاعرة والفلاسفة.

-اشتهر الغزالي بالتصوف الفاضح ولذا فهو يمثل مرحلة خطيرة من مراحل امتزاج التصوف بالمذهب الأشعري حتى كاد أن يكون جزء منه.

تطويره لمعتقد الأشاعرة إضافة إلى ما سبق:

---

[1] الجويني:المصدر السابق،ص05.

[2] ابن خلدون:المصدر السابق،ج2،ص336.

1 –ميله إلى تأويل عذاب القبر وعذاب النار ونعيم الجنة بتأويلات قرمطية باطنية وهذه من الأمور الخطيرة عنده[1].

–2إنكار السببية[2].

–3تكريس قانون التأويل الكلامي في المذهب الأشعري[3].

4– لا مانع أن يحمل الإنسان أكثر من عقيدة[4].

–فخر الدين الرازي: ت 606هـ.

وهو محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين أبو عبدالله القرشي الرازي[5]، الرازي يمثل مرحلة خطيرة في مسيرة المذهب الأشعري فهذا الإمام ترك مؤلفات عديدة دافع فيها عن المذهب الأشعري ،كما أنه أفاض في بعضها في دراسة الفلسفة فوافق أصحابها حيناً وخالفهم حيناً آخر، بل وصل الأمر به إلى أن يؤلف في السحر والشرك ومخاطبة النجوم، لكنه انتهى في آخر عمره إلى مذهب أهل الحديث.

تطويره للمذهب:

–1القرب من المعتزلة والرد على أدلة الأشاعرة مع النقد لأعلام الأشاعرة فنقد الغزالي والبغدادي والشهرستاني وغيرهم.

---

[1] أبو حامد الغزالي: لأربعين في أصول الدين في العقائد وأسرار العبادات والأخلاق، تح عبد اله عبد الحميد عرواني،ط1، دار القلم، بيروت 1424هـ . 2003م،ص112.

[2] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ): تهافت الفلاسفة، تح سليمان دنيا،ط6، دار المعارف، القاهرة مصر 1985م،ص251.

[3] الجويني: المصدر السابق،ص358.

[4] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت 505هـ): معيار العلم في فن المنطق، تح سليمان دنيا، دار المعارف، مصر 1961 م.ص348.

[5] ابن الأثير:المصدر السابق،ج12،ص288.

-2دافع عن تكفير المعتزلة والخوارج والروافض[1].

-3تصريحه بالجبر في مسألة القدر[2].

-4ومن الآثار البارزة في المنهج متابعة من جاء بعده له في خلط علوم الفلسفة بعلم الكلام[3].

ولعلّنا نكتفي بهذا القدر ليتّضح المقصود ،وهو أنّ عقيدة الأشاعرة ليست واضحة تماماً ومحددة ومتفق عليها ،وأنّ كلّ إمام كان يحدث تغييرات ليست فرعية بل منهجية وأصولية .

وهناك بعض العلماء أسهموا في تطوير مذهب الأشعري من خلال مؤلفاتهم ورسائلهم لم نذكر أسماءهم سابقا ومنهم :

- **أبو الحسن الآمدي توفي سنة 631هـ.**
- **العز بن عبد السلام توفي سنة 660هـ.**
- **صفى الدين الهندي توفي سنة 715هـ.**
- **بدر الدين ابن جماعه توفي سنة 733هـ.**
- **البيضاوي توفي سنة 685هـ.**
- **الإيجي توفي سنة 756هـ.**
- **أبو على السكوني توفي سنة 717هـ.**

[1] فخر الدين الرازي:نهاية العقول في دراية الأصول،تح سعيد عبداللطيف فودة،ط1، دار الذخائر – بيروت2015.ص290.

[2] محمد الرازي فخر الدين: المباحث المشرقيه في علم الالهيات و الطبيعيات،ج2،ط1، مجلس دائره المعارف–حيدر اباد الهند سنه 1343هـ ص517.

[3] أبو عبد الله عبد الفتاح عبد الله بركة السنوسي :شرح السنوسية الكبرى(عمدة أهل التوفيق والتسديد للإمام)،ط1 دار القلم، بيروت 1406هـ / 1982م،ص41.انظر الملحق رقم 02

وفي ختام هذا المبحث يمكن تلخيص سمات المذهب الأشعري الأخيرة في النقاط التالية:

1) ضرورة المقدمات المنطقية العقلية.
2) التمسك بدليل حدوث الأجسام.
3) استقرار القانون العقلي عند تعارض العقل والنقل.
4) خبر الآحاد لا يفيد اليقين فلا يُحتج به في العقائد.
5) مسألة نفي العلو والجهة أصبحت من المسائل المسلمة التي لا تقبل المناقشة.
6) توحيد عندهم هو توحيد الربوبية فقط، ويدخلون فيه نفي الصفات الخبرية ،أمّا توحيد الألوهية فلا يشيرون إليه في كتبهم إلا من خلال موضوعات التصوف.
7) في الصفات استقر الأمر على إثبات سبع صفات وما عداها فيجب تأويلها.
8) الصفات الخبرية فيها قولان التأويل أو التفويض.
9) نفي الصفات الفعلية الاختيارية.
10) كلام الله هو الكلام النفسي.
11) الرؤية ثابتة لكن مع نفي العلو.
12) الإيمان ما لو فيه إلى مذهب المرجئة.
13) فيما يتعلق بحكمهم على من خالفهم بقي المذهب متأرجحاً بين التكفير لغالب الطوائف والإعذار لهم.
14) مسألة الإمامة وأحوال القيامة والجنة والنار والشفاعة وعدم خلود أهل الكبائر في النار بقي موافقاً لمذهب أهل السنة والجماعة.

المبحث الثالث: العقيدة الأشعرية بالأندلس في عصر الموحدين.

المطلب الأول :الوجود الأشعري قبل فترة الموحدين بالغرب الإسلامي .

لقد ذكرت كتب التاريخ والطبقات أنّ المذهب الأشعري دخل إلى منطقة الغرب الإسلامي في وقت مبكر، وأنّ فقهاء المالكية كان لهم دور كبير في ترسيخ هذا المذهب في الغرب الإسلامي عموماً والأندلس على وجه الخصوص. فقد ذكر ابن عساكر أنّ الإمام القاضي أبا بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت403)، خلّف بعده من تلامذته جماعة كثيرة تفرقوا في البلاد أكثرهم بالعراق وخراسان، ونزل منهم إلى المغرب رجلان، أحدهما أبو عبد الله الأذري، والثّاني أبو الطاهر البغدادي الواعظ الناسك، وقد راج المذهب على يديهما رواجاً في إفريقية والمغرب[1] . يقول عبد المجيد النّجار: "وقد كان ظهور الباقلاني رائد المذهب الأشعري عنصراً مهماً في إقبال أهل المغرب على تعلم الأشعرية ونقلها إلى بلداهم، وذلك لأن الباقلاني كما كان رأس الأشعرية، كان أيضاً رأس المالكية بالمشرق، وهو كان حافزاً للمتعلمين المغاربة كي يشدوا إليه الرحال لطلب فقهه، وكانوا يأخذون مع ذلك منهجه الأشعري في العقيدة.[2]

ومن العلماء المالكية البارزين الذين حملوا لواء الأشعرية بالأندلس نجد أبا الوليد الباجي (ت474هـ) الذي دافع عن الباقلاني وآرائه الكلامية، وردّ الشبهات التي ألصقها خصومه، خاصة فيما يتعلق بمسألة طريان الأعراض على الجوهر. وتبدو أشعرية الباجي واضحة جلية في كتبه، خاصة رسالته في الحدود التي اعتمد فيها كثيراً على آراء الباقلاني. وفيما يتعلق بمسألة الإمامة، نجد أبا الوليد الباجي

---

[1] ابن عساكر :المصدر السابق،ص120.

[2] النجار :المرجع السابق ،ص435.

ينحو فيها منحى أشعرياً، ويؤكد على ضرورة طاعة الخليفة وملازمة الجماعة، وإن كان الخليفة جائراً، فإن ظلمه أهون على الناس من الفتنة"[1]

وخلال حكم المرابطين انحصر المد الأشعري قليلاً، وتراجع الفكر العقدي في اتجاه التأويل العقلي على طريقة الأشعرية، لتهيمن طريقة أهل الحديث في إمرار النصوص على ظاهرها، إذحمل هذا اللواء أحد زعماء المذهب المالكي في الأندلس القاضي أبو الوليد بن رشد الجد (ت 520هـ)، الذي سيوجّه إليه السلطان أبو الحسن علي بن يوسف بن تشافين أسئلة في شأن أتباع هذا المذهب الجديد، ويقصد مذهب أبي الحسن الأشعري، ممن ينتحلون علم الكلام ويتكلمون في أصول الديانات أهم أئمة رشاد وهداية أم هم قادة حيرة وعماية؟ وكان الاتجاه العام يسير إلى رفض هذا المذهب، بل إلى تكفير كل أشعري والتبرؤ من مقالته، ورميه بالضلالة والخوض في الجهالة. وكان ابن رشد في جوابه من جهة متأدباً مع أتباع هذا المذهب، معتبراً قدرهم، عارفاً بفضلهم وعلمهم، لأنهم قاموا بنصر الشريعة وأبطلوا شبه الزيغ والضلالة، وأوضحوا المشكلات، وبينوا ما يجب أن يدان به من المعتقدات. بل اعتبر من رماهم بالضلالة والجهالة غبي جاهل أو مبتدع زائغ، لذا وجب أن يبصر الجاهل منهم، ويؤدب الفاسق، ويستتاب المبتدع والزائغ عن الحق؛ ومن جهة أخرى عبر عن موقفه صراحة في وجوب الالتزام بما كان عليه السلف الصالح، والابتعاد عن التأويل العقلي في أمور العقيدة والاستدلال فيها على طريقة المتكلمين، لأنه لا يؤمن من العنت راكبها والانقطاع على سالكها[2] ، ونبه الخليفة إلى وجوب إبعاد العامة عن الخوض في علم الكلام الأشعري، "فمن الحق الواجب على حسن من ولاه أمر المسلمين أن ينهي العامة المبتدئين عن قراءة مذاهب المتكلمين من الأشعريين ويمنعهم من ذلك غاية

---

[1] أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي القرطبي(ت474هـ) : وصية الباجي لولديه، تح عبد الرحمان هلال، مج 1، ع 3، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد(1373هـ/1954م)، ص 35 .

[2] أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجد القرطبي(ت 520 هـ / 1126 م) : مسائل ابن رشد الجد، تح محمد الحبيب التجكاني، ج 2، ط1،دار الآفاق الحديثة، المغرب 1999م ص ،ص. 804،805.

المنع، مخافة أن تنبو أفهامهم عن فهمها فيضلوا بقراءتها، ويأمرهم أن يقتصروا فيما يلزمهم اعتقاده على الاستدلال الذي نطق به القرآن ونبه عباده في محكم التنْزيل"[1]

ورغم هذا الموقف المعلن الرافض للمذهب الأشعري من قبل الدولة المرابطية، إلا أنّه لم يستطع القضاء على هذا المذهب الذي سيرفع أحد العلماء المالكية البارزين في هذه الفترة لواءه، ونخص بالذكر الفقيه المالكي القاضي أبا الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت544هـ) الذي نحا في اتجاهه العقدي منحى أشعرياً، وكانت له صلة قوية بهذا المذهب. وتتجلى هذه الصلة من خلال كتابه "الشفا"، وكذلك في أخذه عن كثير من المتكلمين الأشاعرة، والمتحدث عن التيار الكلامي الأشعري في هذا العصر لابد أن تستوقفه سبتة بكثرة المتكلمين الذين كانوا يقيمون بها ومنهم: يوسف بن موسى الكلبي، وكان من المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعري، وله في ذلك تصانيف مشهورة كما يقول القاضي عياض عنه، وقد قرأ عليه أرجوزته الصغرى في الاعتقادات وحدثه بالكبرى[2] ؛ وعبد الرحمن بن محمد الكتامي المعروف بابن العجوز[3] ، وأبو محمد عبد الغالب بن يوسف السلمي، أخذ عنه الناس كثيراً بسبتة وكان متكلماً على مذاهب أهل السنة من الأشعرية، والقاضي أبو القاسم عبد الرحمن المعافري، لقي الإمام الجويني بمكة، وعليه أخذ القاضي عياض. حيث يقول محمد بن تاويت الطنجي: "واحتجاج عياض المتكرر في كتاب الشفا بآراء أبي الحسن الأشعري وأبي بكر ابن فورك، وأبي المعالي إمام الحرمين الجويني يثبت كل ذلك صلته الوثيقة بمذهب الأشعرية وبكتبهم، وقراءته لمؤلفاتهم من الاعتقاد، ووصفه للباقلاني وأبي بكر ابن فورك بقوله: من

[1] ابن رشد الجد : المصدر نفسه، ج 2، ص 971.

[2] أبو الفضل بن موسى القاضي عياض اليحصبي السبتي (ت 544هـ) : الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض ،تح ماهر زهير جرار ،ط1، دار الغرب الإسلامي،بيروت (1402هـ/ 1982 م)،ص129.

[3] القاضي عياض :نفس المصدر ، ص 96.

أئمتنا، دال على أنه أشعري المذهب" . ويؤكد ابن تاويت أن المدرسة التي أخرجت القاضي عياض وشيوخه الذين تعلم عليهم الكلام وأصول الدين كانت على علم بالجدل والمناظرة على مذهب أبي الحسن الأشعري، وأن كتب الأشاعرة في علم الكلام كانت معروفة بين رجالها يتدارسونها في كافة أنحاء المغرب والأندلس .

وفي هذه الفترة برز في الأندلس الفقيه المالكي الكبير أبو بكر محمد بن العربي المعافري (ت543ه)، أكبر شخصية مالكية أشعرية بالغرب الإسلامي، والذي سيتطور المذهب الأشعري على يديه تطوراً ملحوظاً بالأندلس، من خلال ما نقله من المشرق من كتب علم الكلام على طريقة الأشعرية، ونذكر من هذه الكتب على سبيل المثال: مدارك العقول، والعقيدة النظامية للجويني، ومحك النظر، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي، والجامعين الخفي والجلي للأسفراييني. ثمّ إنّ كتبه الكلامية تنطق بما لا يدع مجالاً للشك بكونه على مذهب الأشعرية ومدافعاً قوياً عنهم، ونذكر من كتبه: "الأمد الأقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا"، "رسالة الغرة في الرد على كتاب الدرة لابن حزم"، "لعواصم من القواصم"، "كتاب المتوسط في معرفة الاعتقاد"، و"المقسط في شرح المتوسط[1]. "

وبفضل هؤلاء العلماء بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الفكر الإسلامي، مرحلة الانتشار والتسرب للفكر الأشعري ،مهّد الطريق لابن تومرت لقيام دولته وجعل المذهب الأشعري مذهبا رسميا لها.

[1] عمار الطالبي :آراء ابن العربي الكلامية، ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974،ص23.

المطلب الثاني :دور كتاب المرشدة في ترسيخ المذهب الأشعري.

لما رجع ابن تومرت من رحلته إلى المشرق، قُدِّر له أن يكون الانتشار الأوسع للأشعرية بالمغرب على يديه، وأن يكون لتعاليمه الدور الحاسم في اعتناق كافة أهل المغرب والأندلس لهذه العقيدة ، وقد توفّرت جملة من الأسباب الأساسية أتاحت لهذا الانتشار أن يكون على يدي ابن تومرت، نذكر منها بالأخصّ السّببين التّاليين :

الأول: التمهيد للأشعرية الذي سبق ابن تومرت ،والذي أسهم في تحقيقه علماء استطاعوا أن يرسخوا هذه العقيدة في مجتمعهم أمثال :أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيدي المعروف بالقلانسي (ت 359هـ)[1] ،وقد كان على صلة علمية بأبي عبد الله بن مجاهد البصري (ت 370هـ)[2] ،أحد تلامذة الإمام أبي الحسن الأشعري، ومنهم الإمام أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت 392هـ)، والمحدّث أبو عمر الطلمنكي (ت 429هـ)[3] وغيرهم ، ممّا أنشأ في النفوس استعدادا لتقبلها.

[1] رجل صالح فقيه فاضل عالم بالكلام والرد على المخالفين له في ذلك تآليف حسنة وله كتاب في الإمامة والرد على الرافضة سمع من فرات بن محمد وحماس بن مروان والمغامي ومحمد بن عبادة السوسي وخلق كثير. روى عنه إبراهيم بن سعيد وأبو جعفر الداودي وغيرهما امتحن على يد أبي القاسم بن عبد الله الرافضي ضربه سبعمائة سوط وحبسه أربعة أشهر بسبب تأليفه كتاباً في الإمامة وقيل بسبب كتاب الإمامة الذي ألفه بن سحنون. توفي رحمه الله تعالى سنة تسع وخمسين وقيل سنة إحدى وستين وثلاثمائة.ابن فرحون :الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ،ج1،ص45.

[2] هو محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي المتكلم، أبو عبد الله، صاحب أبي الحسن الأشعري، وقال عياض: «وكان ابن مجاهد هذا مالكي المذهب، إماما فيه، مقدما غلب عليه علم الكلام والأصول». القاضي عياض :نفس المصدر السابق ،ج6،ص196.

[3] المقرئ الحافظ أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي الطلمنكي، نسبة إلى بلده طَلَمَنكة، وهي مدينة بثغر الأندلس الشرقي، بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، رحل إلى بلاد كثيرة، وسمع من خلق كثير، ورجع إلى الأندلس بِعِلمٍ جَم،القاضي عياض :المصدر السابق ،ج8،ص32.

الثاني: ما توفّر للمهدي وخلفائه من سلطة سياسية استعملت في نشر آراء المهدي، ومن بينها آراؤه الأشعرية، ولا شكّ أنّ السلطة السياسية تتوفر لها من وسائل النشر المادية والمعنوية، ما ساعد على تبليغ هذه العقيدة في أسرع وقت وأوسع رقعة ،حتى كان لها الظهور والرسوخ[1].

لقد كان انتشار الأشعرية بالمغرب نتيجة لما بذله المهدي وخلفاؤه من بعده من جهد ضمن خطتهم الهادفة إلى الإقناع بالرؤى التي رسمها المهدي، وجعلها أساسا يُجري عليه النّاس تصوراتهم العقدية ،ويعوضون به ما كان سائدا من تصورات قد يخالطها أحيانا شيء من التشبيه والتجسيم في نظرهم ، وقد كان هذا العمل منهم ركنا أساسيا من أركان الدعوة الموحدية الهادفة إلى التغيير الشامل في الفكر والسياسة والاجتماع.

كان المهدي يقوم بنفسه بتدريس وشرح ما كتبه من مؤلفات ويلقّن للنّاس فحواه، وقد قال ابن خلدون في هذا المعنى: "فنزل[المهدي] على قومه وذلك سنة خمس عشرة وخمسمائة وبنى رابطة للعبادة، فاجتمعت إليه الطلبة والقبائل يعلمهم المرشدة والتوحيد باللسان البربري."[2]

لما تولّى عبد المومن اعتنى بمؤلفات المهدي، خاصة المرشدة ، وكان يقوم بنفسه بتدريسها في مجالس يعقدها ،وقد أصدر عبد المومن مرسوما يأمر فيه عامة الناس بأن يشتغلوا بقراءتها ، وممّا جاء فيه مانصّه «يلزم العامة ومن في الديار بقراءة العقيدة وحفظها وتفهمها[3]

أدّت هذه السياسة في نشر المرشدة وإشاعتها إلى أن أخذت طريقها بين عامة الناس، وجرت بها دروس العلماء وشروحهم ، وتداولتها الأيدي على مرّ الأيام. ، ونشط التدريس لهذا العلم والتّأليف فيه بعدما كان مهجورا ،مقبحا، معدودا من البدع في عهد المرابطين.

---

[1] عبد المجيد النجار :المهدي بن تومرت :حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب ،ط1،دار الغرب الإسلامي،1983د ب ن،ص ص441 ،444.

[2] ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص466.

[3] أبو بكر بن علي الصنهاجي البيدق : أخبار المهدي بن تومرت و بداية دولة الموحدين ، ط1،دار المنصور للطباعة و الوراقة ،الرباط 1971،ص134.

قد كان لكتاب المرشدة الأثر الكبير في إشاعة الأشعرية بين أهل المغرب والأندلس ، وكان له الأهمية البالغة في تحويل التصور العقدي من تصور سلفي إلى تصور يقوم على التأويل، فشاع ذكرها بين الناس عامتهم وعلمائهم، وجرت بها الألسنة حفظا وشرحا، وصارت على مر الأيام الخلاصة للتصور العقدي السائد بالمغرب والأندلس في عهد الموحدين ،الذي تجري به الأذهان ويلقّن للناس. ولذلك يعتبر انتشار هذه العقيدة وتأثيرها المظهر المهم من مظاهر الأثر الأشعري لابن تومرت[1].

وهذه العقيدة في جملتها وفي ظاهرها جارية على منهج الأشاعرة ومقولاتهم، وهو ما هيأ لها علماء-المذهب الأشعري- يقبلون عليها بالدرس والشرح مطمئنين إلى صحتها وخلوّها من الزّيغ- على زعمهم-، وهو ما عبّر عنه الشّيخ السّنوسي-أحد شراحها -بقوله:" اجتمعت الأئمة على صحة هذه العقيدة ولا غير، وأنها مرشدة رشيدة، ولم يترك المهدي أحسن منها وسيلة، نفعنا الله وإياك بعقد عقيدتها الجميلة.[2]

ويقول عبد الله كنون بعد عرض مؤلفات المهدي بن تومرت وتخصيص الحديث عن المرشدة قائلا: " عقيدة المرشدة التي لقيت رواجا كبيرا في حياته وبعد مماته، وتلقّاها أئمة العلم بالقبول، وحكموا عليه من خلالها بسلامة العقيدة وصحّة المذهب. ولا نشكّ أنّها كانت من أوّل ما أملى من تآليفه، ولقّن أصحابه من العقيدة على مذهب الإمام الأشعري، لأنّها بمثابة المقدمة في هذا الصّدد، من حيث الاختصار وعدم الاحتواء على الأدلة العقلية التي لا يدركها العموم كما في عقيدة التوحيد، ولأنّها جاءت خالية من كل شبهة على ما كانت عليه دعوته أولا قبل أن يدعي المهدوية، والإمامة، والعصمة، ويتجرد للعمل السياسي الذي أقام به بناء الدولة الجديدة وقضى على دو لة خصومه المرابطين"[3].

---

[1] النجار: المهدي بن تومرت ،المرجع السابق ،ص447.

[2] نفسه ،ص449.

[3] عبد الله كنون :جولات في الفكر الإسلامي ،ط3، مطبعة ديسبريس، تطوان 1980ص:96.

وأمّاعن دور المرشدة في تثبيت العقيدة الأشعرية بالغرب الإسلامي يقول يوسف احنانة: "لاقت أفكاره الأشعرية (يعني ابن تومرت) قبولا حسنا، وظلّت مصدرا أشعريا يعتمد عليه لفترة زمنية طويلة، فعقيدة المرشدة مثلا وهي عقيدة صغيرة لابن تومرت تَسَعُها صفحةٌ واحدةٌ، كتب لها الانتشار والاستمرارية، وأن تضطلع بكبير الأدوار في عملية تدعيم الفكر الأشعري بالغرب الإسلامي، فبقيت مصدرا أشعريا يتولاّه الشارّحون والمعلّقون بالتّحليل والتفصيل مدة زمنية طويلة، وما ذلك إلا لتوجهها الأشعري ،وتجردها من أية شائبة،وعلى الرّغم من صغر حجم عقيدة المرشدة فإنها لاقت اهتماما كبيرا من طرف الشراح والمهتمين بها لأنهم كانوا يرونها عقيدة تعكس أشعرية المهدي بن تومرت،وهذا هو

السبب الذي جعل مجموعة من الشارحين يتهافتون على شرحها في فترات زمنية مختلفة وفي أماكن من الغرب الإسلامي متباينة من الأندلس والمغرب[1].

ويقول عبد الخالق احمدون: "...غير أن هذا الحكم على سياسة ابن تومرت لا يمنع من القول: إن أفكار ابن تومرت الأشعرية لاقت رواجاً كبيراً، وظلت مصدراً أشعرياً لكثير من الآراء الكلامية يعتمد عليه لفترة زمنية طويلة، والإشارة هنا إلى عقيدة المرشدة التي حظيت باهتمام واسع من طرف العلماء وطلبة العلم والشراح، حتى قيل عنها: إنها مرشدة رشيدة لم يترك المهدي أحسن منها وسلية، فقد لقيت صدى كبيراً في الأوساط العلمية في أماكن متفرقة، وتهافت العلماء على شرحها..."[2]

وقد ذكر يوسف احنانة ما أقامه المغاربة على هذه المرشدة من شروح متفاوتة قائلا: "لقد لاقت مرشدة مهدي الموحدين محمد بن تومرت(ت524هـ) إقبالا كبيرا من لدن شراح الغرب الإسلامي، ذلك أن مجموعة منهم قاموا بوضع شروح عليها تتفاوت قيمتها ونوعيتها، إلا أن القاسم المشترك بينها هو طابعها الأشعري الواضح. فعلى الرغم من أن ابن تومرت لم يكن أشعريا خالصا، فإنّ الشّراح الذين تولَّوا شرح مرشدته أضْفَوا عليه طابعا أشعريا محضا، وجعلوا منه قطبا أشعريا كبيرا. وهكذا فقد

[1] عبد الله كنون : المرجع السابق ،ص96.

[2] أبو عبد الله محمد بن خليل السكوني الاشبيلي(ت 717هـ) :شرح مرشدة محمد بن تومرت ،تح يوسف احنانة،دار الغرب الإسلامي ،ط1، لبنان 1993،ص6.

وجدنا من الشراح مغاربة وجزائريين وتونسيين وليبيين كلهم هدفوا إلى توضيح معاني هذه العقيدة والكشف عن مضامينها، وليؤكدوا من جانب آخر الدور الذي قامت به مرشدة ابن تومرت من تدعيم وتثبيت دعائم المذهب الأشعري بالغرب الإسلامي، بحيث إنها شكلت وعلى امتداد قرون إطارا مرجعيا لأشاعرة الأندلس والمغرب ، حتى ظهور أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي صاحب العقائد الشهيرة المتوفى(895هـ)[1].

ويضيف في موضع آخر حول ما تناولته المرشدة من اعتقادات: "ومما يزيد في أهمية مرشدة ابن تومرت هو أن صاحبها راعى في مضامينها سهولة التناول وتقريب المعاني، وكان في حياته يستعمل شتى الوسائل ويسلك مختلف الطرق لتقريب مضامينه من عامة الناس لكي يُقبلوا عليها ويتَّخذوها عقيدة رسمية لهم، فقد وضع عقيدة باللسان البربري، وأخرى باللسان المصمودي، وفي ذلك سعي آخر، وتميز نوعي في تقريب أمور العقيدة الأشعرية إلى العامة..."[2]، وإلى هذا الرأي ذهب عبد المجيد النجار بقوله: "إنّ وجازة المرشدة وبلاغتها، وسلامتها من كل مخالفة ظاهرة للآراء الأشعرية ضمن لها الذيوع والانتشار، وجلب لها العناية المتزايدة بالدرس والشرح سواء في عهد الموحدين أو بعدهم...وكان المهدي نفسه يوليها عناية متزايدة بالتبليغ والتدريس، ونرجح أن تكون من مؤلفاته الأولى حين نزوله ببلده إثر رحلته إلى المشرق، فجاءت لذلك خالية من القول في الإمامة التي يبدو أن آراءه فيها لم تتضح لديه بعد، ولم يصدع بها إلا حينما انتقل إلى تينمل.. .ولا شكّ أنّ أمر عبد المومن عامّة الناس بحفظ المرشدة وفهمها كان له دور فعال في انتشارها وذيوعها، فكثر حفظها وإقراؤها في المساجد، وكثرت الشروح عليها، وتتالى ذلك عبر القرون، ويبدو أنّ العناية بها من قبل العلماء خاصة تزايدت بعد سقوط الموحدين حينما توطد الاندماج بين الآراء الأشعرية للمهدي وبين التيار الأشعري العام...".[3]

---

[1] يوسف احنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ط2،دار أبي رقراق ،المملكة المغربية،2007،ص: 89.

[2] نفسه ،ص93.

[3] النجار :المرجع السابق ،ص 449.

وختاما لهذا الرأي يقول يوسف احنانة: "خلص في نهاية المطاف إلى أن ابن تومرت رغم نزوعه الأشعري الواضح فإن آراءه العقدية لم تسلم من انتقائية شذَّ نظيرها في كل الفكر الإسلامي، فقد حوت مزيجا من الأفكار متعددة المشارب مختلفة الأصول، لكنها جمُعت في فكر رجل واحد اشتُهر عنه سياسيا أنه المؤسس الروحي والمساهم الفعلي في ظهور دولة الموحدين، كما اشتهر عنه كذلك محاربته الشديدة لعقيدة خصومه أهل التسليم والتفويض واعتبار أصحابها أهل ضلال وكفر، وفي المقابل سعيه نحو نشر المذهب الأشعري بشتى الطرق ومختلف الوسائل. ولقد فهم ورثة ابن تومرت المباشرون شخصيته الثقافية على هذا الشكل حين نظروا إليه باعتباره أشعريا خالصا، وجعلوا مرشدته الراشد الأمين إلى معالم الفكر الأشعري، فأرغموا الناس على حفظها وفهم مضامينها، لتكون مدخلا أشعريا إلى باقي كتب الأشاعرة الآخرين"[1].

ولقد انتشرت المرشدة في الشرق والغرب واشتهر أمرها، وتلقاها العلماء بالشرح والتعليق ومن بين شروحها ما يلي:

- شرح ابن عباد التلمساني(ت 392هـ) أطلق عليه "الدرة المشيدة في شرح المرشدة"، وهذا الشرح توجد منه نسختان، بدار الكتب التونسية، نسخة تحت رقم 14559، والأخرى تحت رقم 16359، ونسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1059.

- شرح المرشدة للإمام السنوسي محمد بن يوسف (ت 895هـ)[2] دفين تلمسان، توجد منه نسخة في مكتبة الشيخ الشاذلي النيفر بتونس، كما أشار إلى ذلك عمار الطالبي، ونسخة بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم 16953، حسب ما جاء في كتاب عبد المجيد النجار ص 538.

---

[1] يوسف احنانة :المرجع السابق،ص100.

[2] محمّد بن يوسف السَّنوسِي ولد و نشأ بتلمسان ، توفي في بيت ما زال قائما بدرب بني جملة بتلمسان ، أبوه الشيخ أبو يعقوب يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي . أخوه لأمّه علي التَّالوتي الأنصاري ت(895هـ/1490م) : أحمد بن محمد المقري التلمساني شهاب الدين:أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض،تح، مصطفى السقا وأخرون،ج4،دط، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة(1358 هـ/ 1939 م)، ص96.

– شرح المرشدة لبيورك بن عبد الله السملالي[1]، خزانة ابن يوسف بمراكش رقم 541 .

–الأنوار المبينة المؤيدة لمعاني عقد عقيدة المرشدة، لأبي زكريا يحي بن الشيخ أبي حفص عمر، مكتبة الجامع الكبير بمكناس، رقم 339.

. شرح المرشدة لأبي عبد الله محمد بن خليل السكوني، دار الكتب الوطنية بتونس، رقم 11273.

. شرح المرشدة، لأبي عبد الله محمد بن يحي الشيباني، المكتبة الوطنية بباريس، رقم 5296 .

. نور الأفئدة في شرح المرشدة، لعبد الغني بن إسماعيل النابلسي ت 1143، الخزانة العامة بالرباط، رقم 2414.

. الدرة المفردة في شرح العقيدة المرشدة، لأبي عبد الله محمد بن أبي العباس ابن النقاش، الخزانة العامة بالرباط، رقم 283.

. شرح مرشدة محمد بن تومرت، لأبي عبد الله محمد بن خليل السكوني الاشبيلي، دراسة وتحقيق: الأستاذ يوسف احنانة، دار الغرب الإسلامي.

[1] يبورك السملالي (ت 1058 هـ / 1648 م) هو فاضل، من أهل تازموت بالمغرب هو يبورك (بكسر الياء، ويقال أيضا إيبورك والأول أفصح، ومعناه مبارك والكلمة بربرية) بن عبد الله بن يعقوب السملالي. الزركلي: المصدر السابق،ج8،ص267.

المطلب الثالث: أعلام الأشاعرة خلال فترة الموحدين بالأندلس.

شهدت فترة الموحدين نشاطا فكريا واسعا خاصة في الجانب العقدي ،حمل لواءه كوكبة من فطاحلة علماء الأشاعرة أثبتوا جدارتهم في مجال التدريس والتأليف ،وقد اكتفينا خلال هذا المطلب بذكر بعضا منهم:

- **أبو الحسن ابن الاشبيلي(ت567هـ/1171م):**

هو علي بن محمد بن خليل أبو الحسن عرف بلقب ابن الاشبيلي[1] ،نشأ بمدينة ألميرية حيث أخذ العلم عن أبي القاسم بن ورد ولازمه، وعن ابي العباس الزنقي وغيرهما، ثم رحل إلى العدوة حيث قضى فترة زمنية بمدينة فاس ،وكان ضمن حاشية السلاطين الموحدين.

كان أبو الحسن حافظا للفقه خطيبا بليغا وأصوليا ماهرا ومتكلما حاذقا ،أخذ عنه علم الكلام جماعة من الأندلسيين والمغاربة كأبي القاسم عبد الرحمن ابن الملحون وابن عبد الملك بن صاحب الصلاة حيث قال في كتابه المن بالإمامة:"...التقيته بحضرة مراكش سنة ستيين وخمسمائة ،وسمعت عليه عقيدة التوحيد والعقيدة المباركة المسماة ب"الطهارة" وكتاب "أعز ما يطلب" ،وكان إذا قرأ فصلا مما ذكرته من العقائد شرح غامضها ،وفتح أقفالها على الطلبة..."[2]

ونظرا لتمكن ابن الإشبيلي من الفكر الأشعري-مذهب الموحدين العقدي-فقد وقع تقديمه على العلماء "فقربه الخليفة عبد المؤمن بن علي واستدناه ونال من الآمال مناه ،فتجلّت له من العلوم بحور...فصار عند الخليفة في العلوم والمذاكرة أول داخل وآخر خارج"[3].

ومن أشهر تلامذته الذين أخذوا عنه العلم بعامة وعلم الكلام بخاصة أبو عمرو عثمان السلالجي(ت574هـ/1178م) صاحب رسالة البرهانية.

---

[1]محمد بن عبدالله القضاعي البلنسي بن الأبار(ت685هـ):التكملة لكتاب الصلة ج2،دط،د ت ن،مدريد1885م،ص668.

[2]ابن صاحب الصلاة :المصدرالسابق،ص162.

[3]المصدر نفسه ،ص160.

- **أبو عمرو عثمان السلالجي (ت574هـ/1178م)**

هو أبو عمرو عثمان بن عبد الله السلالجي ، كان يلقب بالإمام في علم الاعتقاد مما يدل على مكانته العلمية. وكان مولده نحو سنة (521هـ) وانتقل إلى فاس في مبتدأ عمره لحفظ القرآن ودراسة العلوم الشرعية ، ثم التحق بالقرويين فقرأ الموطأ والمدونة والرسالة على يد أبي عبد الله محمد بن عيسى التادلي وأبي الحسن بن خليفة، وانتقل بعد ذلك إلى دراسة علم الكلام بعد ما أظهر معارضته لأفكار بعض أساتذته، فابتدأ بكتاب الإرشاد للجويني، وقد وجد السلالجي في أستاذيه"ابن حرزهم"(ت559هـ) و"ابن الرمامة"(ت567هـ) ما كان يتوقعه منهما، فانطلق بثبات للتعمق في علم الكلام الأشعري. ولما سافر إلى مراكش والتقى بشيخه ابن الاشبيلي كان ذلك بمثابة تعويض عن الرحلة إلى الحجاز التي لم يوفق لإكمالها، لكن مقامه بمراكش لم يطل، إذ سرعان ما عاد إلى فاس لاستكمال ما بدأه من تدريس بها، وكانت دروسه تلقى إقبالا كبيرا.وهو صاحب العقيدة البرهانية هذه العقيدة المختصرة من حيث الحجم، العظيمة من حيث المضمون، أثْرَتِ الساحة العقدية، "فقد كان لحجمها الصغير ودقة عباراتها، دور فعال في إقبال العلماءعليها ، فالتفوا حولها وقاموا بتحفيظها وتعليمها وشرحها كل حسب طاقته وإمكاناته"[1] .ولم يخل قرن من القرون التي تلت وفاة السلالجي من تأليف يرتبط بالعقيدة البرهانية شرحا لها أو اختصارا لشرح، أو نظم لمسائلها أو طلبا لتدريسها وذلك لكونها تعطي تصورا عاما ودقيقا عن أصول وأركان العقيدة الأشعرية، ولدقّة العمل الذي سلكه فيها مؤلِّفها وموافقتها للخط الأشعري. ويقول جمال البختي في كتابه عثمان السلالجي ومذهبيته الأشعرية عن البرهانية:"... فيمكن لمن اطّلع على نصّها أن يؤكّد أنّ وجازتها لم تكن على حساب مباحثها ومواضيعها، إذ أنّ مؤلِّفها كان حاذقا في اختصارها، متناولا في مباحثها لكل الجوانب العقدية ...، بل إن منهجه فيها، وتقسيمه لموضوعاتها ينبئ عن اطلاع واسع وخبرة كبيرة بمباحث

[1] جمال علال البختي : عثمان السلالجي ومذهبيته الأشعرية، ط1،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب 2005 م،ص184.

العقيدة وبمسائل علم الكلام. لهذا اندفع الشراح إلى العناية بها وأسهب المتكلمون في توضيح فصولها وبسط قضاياها"[1]

ومن هذه الشروح:

-شرح أبي عبد الله الكتاني(ت596هـ).

-شرح الرعيني(ت598هـ).

-شرح ابن الزق(كان حيا في سنة612هـ) لكنه مفقود.

-شرح الخفاف(توفي في:ق.7هـ) ذكره المراكشي في الذيل والتكملة، وتوجد نسخ عدة منه مخطوطة، سماه "شرح العقيدة البرهانية. "

-شرح ابن بزيزة (ت673هـ) وقد نقل فيه عن ابن الكتاني لكن نصه مفقود، ويسمى شرح العقيدة البرهانية .

-شرح اليفرني(ت734هـ) وسماه "المباحث العقلية في شرح معاني العقيدة البرهانية"، ذكره أبو الحسن الطنجي من ضمن تآليف اليفرني، ويعتبر هذا الشرح أهم وأدق شرح للبرهانية، وتوجد منه أكثر من مخطوطتين في حالة جيدة.

- شرح العقباني(ت811هـ)أبي عثمان سعيد بن محمد بن العقباني، وهو مطبوع بتحقيق: نزار حمادي ضمن كتاب سماه:"العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية لأبي عمرو عثمان السلالجي، مع شرح العقيدة البرهانية لابن العقباني"عن مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ببيروت الطبعة الأولى2008.

[1] البختي :المرجع السابق،ص201.

- **أبو محمد السكوني(ت580هـ/1184م)**

هو عبد الحق بن خليل بن إسماعيل بن محمد السكوني،يكنىّ أبا محمد[1] من أهل لبلة بالأندلس بيته بيت علم ودين ،روى عن جماعة منهم أبوه أبو الحسن خليل السكوني ،وعمه أبو محمد عبد الغفور ،وعن جدّه أبي أمه أبي إسحاق الموصلي ،وأبي الأصبع الطحان ،وغيرهم.

رحل السكوني بعد استكمال دراسته الأولى بالأندلس إلى فاس ،وأقبل على دراسة علم الكلام الأشعري في حلقة ابي عمرو السلالجي، فقرأ عليه علم الكلام وأصول الفقه فأحكم عنه العلمين[2] ، فصارت له المكانة العالية فيهما، حتى قيل أنّه لم يتخرج من مدرسة السلالجي مثله ومثل أبي عبد الله الكتاني بسبب تمكنهما من المذهب الأشعري[3].

وقد ساهم هذا الأخير في نشر الفكر الأشعري بالأندلس بعد عودته من رحلته إلى فاس،حيث تفرغ للتدريس بجامع قرطبة ،ولقي مشيختها فأدركه أجله هناك سنة 580هـ/1184م،وقد أثنى على علمه غير واحد من العلماء،وذكرو أنه كان له الفضل في إشاعة العلوم العقلية بقرطبة خلال عصره،ووصفه ابن الزبير بقوله:"...كان عالما كاملا وله أخبار دينية ومجالس إيمانية تدل على فضله وورعه وعمله..."[4].

- **أبو الحسن بن مؤمن (ت598هـ/1193م):**

هو علي بن عتيق بن عيسى بن أحمد بن عبد الله بن مؤمن الأنصاري من ذرية عبادة بن الصامت رضي الله عنه،يكنى أبا الحسن[5] من أهل قرطبة نزيل مدينة فاس .

---

[1] أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير ت708هـ:صلة الصله ،تح إليفي بروفنصال، دط ، المطبعة الاقتصادية ،الرباط 1937م،ص04.

[2] احمد بن محمد بن أبي العافية بن القاضي(ت1025هـ/1616م): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام في مدينة فاس،ج2،دط،دار المنصور الرباط 1973 ،ص388.

[3] ابن القاضي :المصدر نفسه،ج2،ص388.

[4] ابن الزبير: المصدر السابق،ص04.

[5] ابن الآبار: المصدر السابق ،ج2،ص674.

روى بالأندلس عن أبيه ،وعن أبي العباس بن العريف ،وأبي بكر بن العربي المعافري ،وابن أبي إحدى عشر، وأبي القاسم بن ورد، وغيرهم.

اعتنى بن مؤمن بالرواية وقيّد وكتب، وله في شيوخه فهارس ثلاثة :كبير، ومتوسط، وصغير،ضمنهم في برنامجه الذي سماه"بغية الراغب ومنية الطالب"،قال المراكشي :"...وهو برنامج حفيل أودعه فوائد كثيرة...وعرّف فيه أحوال رجاله الذين روى عنهم ،وذكر أخبارهم ومناقبهم ومراتبهم في العلم وسيرهم وأخلاقهم..."[1].

لقد كان لابن مؤمن قدم راسخ في علم الكلام الأشعري ،فشهد له كل الذين قابلوه أو الذين ترجموا له بأنّه كان مشاركا في هذا العلم ،مما يؤكده المراكشي بقوله :"...كان ماهرا في علم الكلام..."[2].ويعترف ابن الزبير بذلك قائلا :"...وكانت له مشاركة في علم الكلام وأصول الفقه..."[3].

ولتقدُّم ابن مؤمن في هذا العلم قام بنظم أراجيز تعكس مدى اطلاعه وتصف مقدرته الكبيرة على فهم دقائقه،قال المراكشي:"...نظم بن مؤمن قصيدة جامعة كبيرة وقفتُ عليها بخطه..."[4]،وقال الزبير :"...ولابن مؤمن أراجيز في علم الكلام وأصول الفقه وغير ذلك..."[5].

وهذا غيظ من فيض من علماء أسهموا بكل ما أوتوا تدريسا وتصنيفا في ترسيخ المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي عموما وبالأندلس خصوصا.

---

[1]أبوعبدالله محمد الأنصاري الألوسي المراكشي (ت 703هـ):الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة، تح إحسان عباس مج5،ق1،دط، دارالثقافة، بيروت دت.،ص260.

[2]المراكشي :نفس المصدر،ص260.

[3]ابن الزبير :المصدر السابق،ص115.

[4]المراكشي :المصدر السابق،ج5،ق1،ص261.

[5]ابن الزبير :المصدر السابق،ص115.

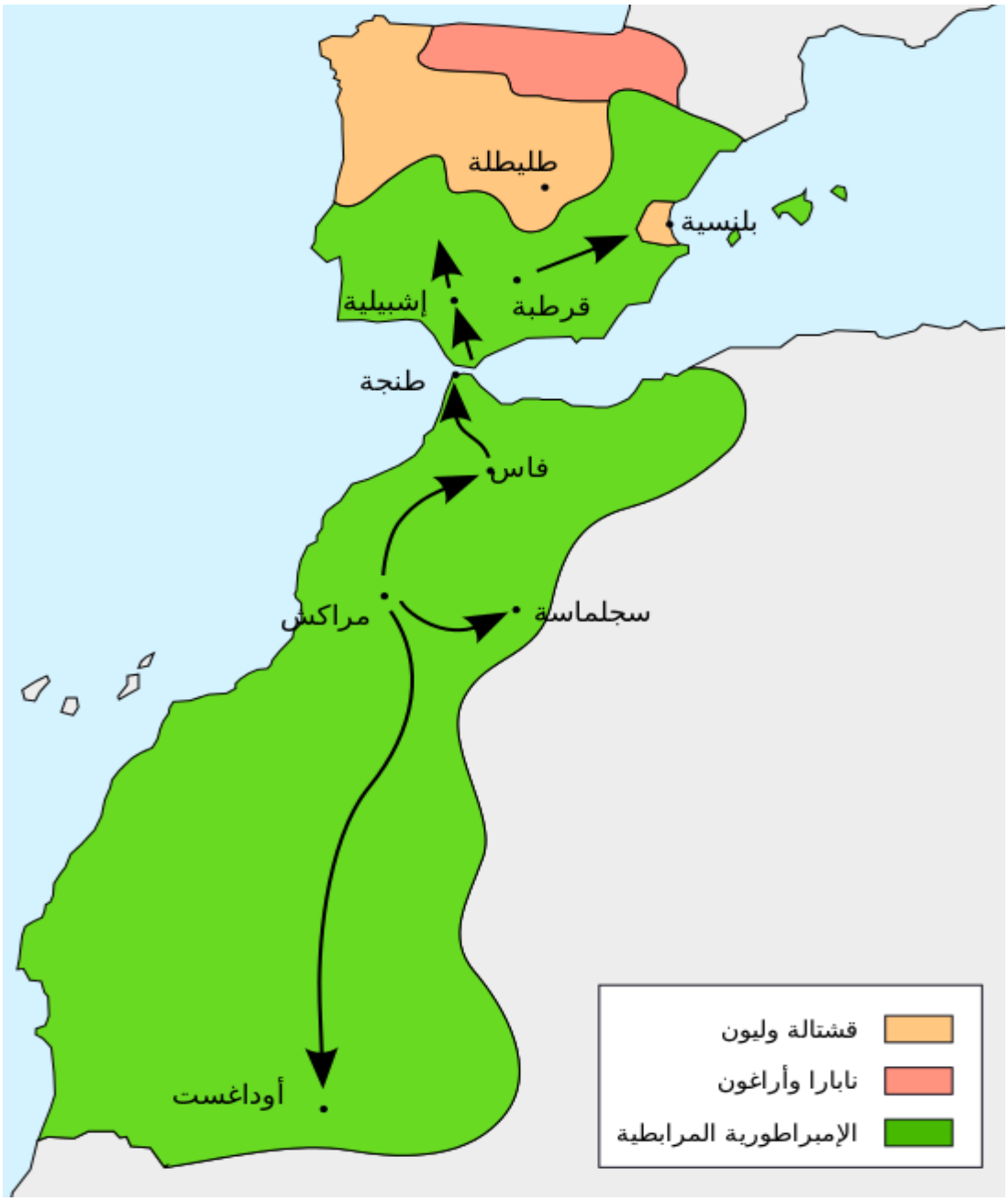
الخاتمة

تضمنت هذه الخاتمة نتائج البحث وهي كالآتي:

لقد توصلنا من خلال مباحث هذا البحث إلى مجموعة من النتائج منها

- أن المرشدة في دولة الموحدين أسهمت بقدر كبير في ترسيخ المذهب الأشعري في وسط العلماء والعامة، فكانت بمثابة الدستور العقدي الذي يحرك دولة الموحدين
- لقد طاف جمهرة كبيرة من العلماء تارة تحت وطأة حكام هذه الدولة،وتارةأخرى تزلفا للسلطان حول هذه المرشدة فشروحها وأقامو الأدلة على قضاياها ومسائلها ،وردو على ما يحوم حولها من الشبهات، فكان عاملا مؤثرا في اختراق النسيج الأندلسي المصان بعقيدة أهل الحديث.
- ساعدت الدولة علماء الأندلس على الاحتكاك بعلماء المشرق ،مما أدى الى جلب عدد كبير من كتب أشاعرة المشرق إلى أرض الأندلس ،ككتب الجويني والغزالي، التي كان لها الأثر الكبير في ترسيخ الأشعرية ببلاد المغرب والاندلس.
- وجود علماء فطاحلة أمثال القاضي أبو القاسم عبد الرحمن المعافري و أبو بكر محمد بن العربي و أبو الحسن بن الإشبيلي وغيرهم ساهموا في تطوير المذهب الأشعري في الأندلس

الملاحق



خريطة تبين مسير جيش المرابطين حتى الزلاقة ، ابن ابي زرع :روض القرطاس ص94

الملحق رقم 01



لا اله الا الله خالصا من قلبه وقال صلى الله عليه وسلم من مات وهو
يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة وعن عتبان بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يوافيني عبد يقول لا اله الا الله
يبتغي بها وجه الله الا حرمه الله على النار وعنه صلى الله عليه وسلم
انه قال لا اله الا الله مفتاح الجنة وروى انس ان لا اله الا الله
ثمن الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله
فانها تهدم الذنوب هكذا قالوا يا رسول الله قال قالها فحيا
فقال هي اهدم واهدم وفي مسند البزار رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله فتحت له ما
من دون اصابه قبل ذكر ما اصابه وفي الاحياء قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو جاء قائل لا اله الا الله صادقا بقراب
الارض ذنوبا غفر له ذلك وفيه ايضا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولاني
كاني انظر اليهم عند الصيحة ينفضون رؤسهم من التراب
ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور
شكور وفيه ايضا قال لابي هريرة رضي الله تعالى عنه يا ابا
هريرة كل حسنة تعلمها توزن يوم القيمة الا شهادة ان
لا اله الا الله فانها لا توضع في ميزان لانها لو وضعت في ميزان
من قالها صادقا ووضعت السماوات السبع والارضين السبع
وما فيهن كان لا اله الا الله ارجح من ذلك وفيه ايضا قال
من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة وقال لتدخلن الجنة
كلكم الا من ياء بى وشرد عن الله شرود البعير عن اهله فقيل
يا رسول الله من الذي يا ابى فقال من لم يقل لا اله الا الله

يحول يوم القيمة

لا من لقن عند الموت
لا اله الا الله دخل الجنة
وعنه صلى الله عليه وسلم
تر انه قال صح
عن ابي هريرة صح

45

مخطوط شرح السنوسية ص45

الملحق رقم 02

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

القرآن الكريم

1) ابن خلكان أبو العباس أحمد بن أبي بكر (ت 681هـ):وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح حسانعباس، ج5،ط2،دارصادر،بيروت1977.

2) ابن عذارى المراكشي أبو العباس أحمد بن محمد (ت نحو 695هـ):البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين ،تح ابراهيم الكتاني وغيره،ج4،ط1،دار الغرب الاسلامي،بيروت1406/1985.

3) ابن ابي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت726هـ): الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس، طبعة المعلم الحاج أحمد بن المعلم الحاج الطبيب الأزرق، المغرب.

4) ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ/1406م):ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح خليل شحادة،ج6،ط1،دار الفكر،بيروت،1432هـ/2010م.

5) السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري)ت1897م):الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ،تحقيق أحمد الناصري،ج2،دط،منشورات وزارة الثقافة والاتصال ،الدار البيضاء2001.

6) ابن الاثير أبو الحسن علي ابن محمد الجزري الشيباني (ت 630هـ/1232م):الكامل في التاريخ، تح عبد الوهاب النجار،ج9،ط1،دار الاستقامة،القاهرة،1338هـ.

7) ياقوت الحموي أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت626هـ/1229م):معجم البلدان ج3،دط،دار صادر،بيروت،1977م.

8) المقري أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني(ت1041هـ/1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تح إحسان عباس، ج1،بيروت1968.

9) الحلل الموشية في الاخبار المراكشية: تحقيق ،سهيل زكار، وعبد القادر زمامة ،الدار البيضاء1978.

10) ابن صاحب الصلاة أبو مروان عبد الملك بن محمد بن يحي بن إبراهيم الباجي، (ت594هـ):تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين ،تحقيق عبد الهادي الناري ،دار الاندلس ،ط3،بيروت 1965.

11) ابن فرحون أبو الوفاء ابراهيم بن محمد (ت799هـ):الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المغرب، تح محمد الأحمدي أبو النور،ط2،مكتبة دار التراث ،القاهرة 2005م.

12) التنبكي أبو العباس أحمد بابا (ت1036هـ):نيل الابتهاج بتطريز الديباج ،ترجمة عباس بن عبد السلام بن شقرون،ط1،د دن، مصر1351هـ.

13) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي(ت505هـ/1111م):إحياء علوم الدين ،دط، دار المعرفة ،بيروت ،د،ت ،ن.

14) ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد (ت595هـ/1198م):فصل المقال فيمابين الحكمة والشريعة من الاتصال ،تحقيق ،محمد عمارة،ط1،دار المعارف،مصر1972.

15) الفرد بل: الفرق الاسلامية للشمال الإفريقي ،تحقيق ،عبد الرحمن بدوي،ط1،دار ليبا للنشر والتوزيع،بنغازي1969.

16) ابن الابار أبوعبدالله محمد بن عبدالله: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق ابراهيم الابيار، ج2،ط1،دار الكتاب اللبناني ،بيروت، 1989.

17) ابن طملوس أبو الحجاج يوسف بن محمد :المدخل لصناعة المنطق، تحقيق :اسين بلاسيوس ،مطبعة الابيرقة ،مدريد 1916.

18) ابن حوقل أبو القاسم النصيبي :صورة الارض،ط2،دار مكتبة الحياة، بيروت ،ب ت.

19) ابن القطان المراكشي(ت600هـ):نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ،دط ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،د ت.

20) ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن (ت571هـ): تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام الأشعري،،ط1،مطبعة القدس،دمشق1347هـ.

21) ابن الاثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة ،تحقيق محمد إبراهيم البنا وأخرون، دط،مطبعة الشعب ،القاهرة د .ت. ن.

22) الجرجاني علي بن محمد بن علي الحسيني الحنفي(ت816هـ):كتاب التعريفات ،تح ،نصر الدين التونسي،ط1،شركة ابن باديس للكتاب،الجزائر1430هـ/2009م.

23) الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت478هـ/1347م):سير أعلام النبلاء ،تح شعيب الأرناؤوط،ج15،ط2،مؤسسة الرسالة بيروت1982.

24) القاضي عياض بن موسى السبتي(ت544هـ):ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ،تح محمد بن تاويت الطنجي،ج1،ط1،ددن،الرباط1965.

25) أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل بن أبي بشر: الإبانة عن أصول الديانة ،تحفوقيه حسين محمود،ط1،دار الانصار،القاهرة،1397هـ.

26) ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني(ت728هـ):مجموع الفتاوى ،تح عبد الرحمن بن محمد بن قاسم،ج12،ط1،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ،المملكة العربية السعودية 1416هـ/1995م.

27) عبد الرحمن بن صالح المحمود :موقف بن تيمية من الأشاعرة،ج2،ط1،مكتبة الرشد،الرياض1415هـ/1995م.

28) أبو العباس أحمد بن على العبيدي المقريزي(ت845هـ/1441م):المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار،ج2،ط2،دار الطباعة المصرية ،القاهرة 1985.

29) السّبكي أبو نصر عبد الوهاب بن علي (ت771هـ/1369م) طبقات الشافعي الكبرى ،تح عبد الفتاح محمود الحلو ومحمود محمد الطنّاحي،ج7،ط1،دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة1964م.

30) أبو الحسن الأشعري علي بن اسماعيل بن ابي بشر،ت330هـ/942م):مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،ط1،مكتبة النهضة العربية،القاهرة،1950م.

31) البغدادي أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت429هـ/1037م)،أصول الدين،ط3،دار الكتب العلمية،بيروت،1401هـ/1981م.

32) أبو الحسن الاشعري :اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ،تح :حمودة غرابة،ط1،مطبعة مصر، القاهرة 1955.

33) عبد الواحد المراكشي بن علي (ت625هـ/1228م) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، دط، دت.

المراجع:

1) خير الدين الزركلي :الأعلام ،قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،ج2،ط15،دار العلم للملايين ،لبنان 2002.

2) حسين أحمد محمود ،قيام دولة المرابطين،ط1،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة1957.

3) علي محمد الصلابي :الجوهر الثمين لمعرفة دولة المرابطين،ط1،مكتبة التابعين ،القاهرة، 1422هـ/2001م.

4) محمود علي مكي :وثائق تاريخية جديدة من عصر المرابطين ،ط1،المعهد المصري للدراسات الإسلامية ،مدريد 1859م.

5) عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ج 2،ط5،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء1996م.

6) محمد إبراهيم الفيومي : تاريخ الفلسفة الإسلامية،ط1،، دار الجيل، بيروت،1997 م.

7) أحمد محمود صبحي :في علم الكلام ،المعتزلة،ج1،ط5،دار النهضة العربية، دمشق 1985.

8) علي محمد الصلابي, دولة الموحدين,ط1،مكتبة الإيمان, المنصورة،2004م.

9) سوادي عبد محمد صالح عمار الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ،دط، المكتب المصري، القاهرة،2004م.

10) محمد السيد, تاريخ دولتي المرابطين والموحدين،ط2،مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندرية2010.

11) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير "العصر الإسلامي"، ج2،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1981.

12) عرفان عبد المجيد :دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية،ط1،مطبعة الارشاد،بغداد1967.

13) الحسيني أبو الحسن علي بن ناصر :زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية،ط1،دار إقرأ للنشر ،بيروت 1985.

14) محمد علي أبو ريان :تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام،ط2،دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية 1990.

15) جعفر السبحاني ،المذاهب الاسلامية،ط2،دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت2005.

16) احمد مختار العبادي. في تاريخ المغرب والأندلس

الفهرس

فهرس محتويات البحث

مقدمة..... I - III

المبحث الأول: الأندلس في نهاية عصر المرابطين وبداية عهد الموحدين.

المطلب الأول: الوضع السياسي للأندلس في أواخر عهد المرابطين.....01-09

المطلب الثاني: الحياة الدينية قبل نهاية عصر المرابطين.....09-15

المطلب الثالث: سقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين.....15-22

المبحث الثاني: لمحة عن المذهب الاشعري.

المطلب الاول: نسب الأشعري، ومولده، ونشأته.....22-25

المطلب الثاني: التعريف بالمذهب ونشأته وأسباب انتشاره.....25-35

المطلب الثالث: أهم مبادئ الأشاعرة وأهم منظّريها.....35-52

المبحث الثالث: العقيدة الأشعرية بالأندلس في عصر الموحدين.

المطلب الأول :الوجود الأشعري قبل فترة الموحدين بالغرب الإسلامي.....52-56

المطلب الثاني :دور كتاب المرشدة في ترسيخ المذهب الأشعري.....56-63

المطلب الثالث: أعلام الأشاعرة خلال فترة الموحدين بالأندلس.....63-67